

الدراسات الاشتراكية - ١

معهد الانماء العربي

تجربة العالم الثالث

د. عفيف دمشقية

تجربة العالم الثالث



الدراسات الاستراتيجيّة

١

تجربة العالم الثالث

(مدخل عام)

اعداد

فريق الدراسات الاستراتيجية

معهد الانماء العربي

فرع لبنان



المركز الرئيسي : ص.ب : ٨٠٠٤ طرابلس - ج.ع.ل.
فرع لبنان : ص.ب : ١٩/٥٣٠٠ بيروت

الطبعة الثانية ١٩٨١

١

يقظة «العالم الثالث» والعامل القومي



توطئة

فكرة « الفوميه » هـي نتـاج تركيب عوامـل سياسيه ، واقتصادية ، واجتماعيه ، وثقافية ، متفاعلة بنيويا لدرجة تكوين وحدة ذات، لجماعة تؤلف بينها وحدة الحياة . ظهرت اشكال فكرة « الفومية » الاولى ، في أوروبا ، خلال القرن التاسع عشر ، فـي وقت متوافق مع ظهور الثورة الصناعية وبروز القوة البورجوازية المتكونة من نتائج الثورة الصناعية . تم بدأت الفكرة تنتشر في بلدان القارات الاخرى ، وهنا انخذت طبائع جديدة ، بفعل المظاهر الخاصة المتأتيه من المحيط الجديد .

« القومية » اشمل من « الوطنية »

لا شك ان فكرة « الفومية » تتميز عن فكرة « الوطنية » . فهذه الاخيرة تنحصر في التعلق بأرض الاجداد ، وترتكز الى التشابه في التفكير وزمالة المشاعر وارادة العيش معا ؛ أما « القومية » ، كما عرفت في القرن الماضي واوائل هذا القرن ، فتشتمل على مضمون فكرة « الوطنية » ، وتتجاوزها على صعيد البعد التاريخي ، اذ تشكل حافزا على تمثل الموروثات الروحية والمادية ، الآيلة الى العصر الحاضر ، عبر تعاقب للاجيال ، يرقى بعيدا في الزمن ، وعلى الصعيد

الجغرافي . اذ تعمل على دمج جميع مناطق الارض الوطنية في دورة حياة متناسقة وذلك باقامة سوق داخلية واحدة ، والغاء الجمارك ، والتوحيد الاداري . واذا تفحصنا تاريخ الامم ذات القومية المتبلورة جدا ، كالامم الاوروبية مثلا ، نلاحظ اهمية دور الاسواق في تكوين كل منها ؛ ذلك ان وحدة السوق الداخلية تفرض وحدة اللغة ، وتعزز من تماسك المجال الوطني وجغرافيته . وتساهم في خلق الانسجام الثقافي . ويدل تاريخ الامم المتبلورة القومية ، بشكل مقنع ، على ان الذات القومية تنمو ، اكثر ما تنمو ، بالتناقض مع « شيء ما » ، سواء الاقطاعية ، او السيطرة الاجنبية ؛ انها ديناميكية نضالية الجوهر .

الاستعمار يوقظ « القومية »

لقد قدّر للبلدان التي كانت واقعة تحت حكم اوروبا مسارا مشابها ، خلال العقود السبعة المنقضية من القرن العشرين . وكما يولد النمط الاقتصادي الرأسمالي ظاهرة البروليتاريا ، كذلك يوقظ الاستعمار ظاهرة القومية .

لقد ولد تفسخ البنية الاقطاعية ، او شبه الاقطاعية ، التي كانت سائدة في بلدان « العالم الثالث » ، طبقات اجتماعية جديدة تنزع الى النضال ضد الغرب المستعمر . بأسلحته ذاتها : انها تطالب بالحرية الديموقراطية ، وتطالب بالسيادة على مرافقها الاقتصادية، وتطالب بحق تقرير المصير ، اي انها تطالب بالاستقلال ؛ علما بأن الديموقراطية والحرية والسيادة والاستقلال ... جميعها مقولات طالما نادت بها شعوب اوروبا في نضالاتها الداخلية .

ان نشوء الوعي نتيجة للاضطهاد الخارجي ، وتناميه ، يحرك ويعزز التأكيد على الشخصية القومية والوحدة الوطنية . فالادباء ،

ورجال الدين ، وقادة الراي ، بعودتهم الى الينابيع التراثية ، انما يعيدون الاعتبار للغة القومية وللفولكلور القومي ، وللتراث الفني والادبي ، ويؤلفون امجاد الاسطورة والتاريخ القوميين . هكذا خلق الاستعمار الغربي التمرد ضده ، والثورة عليه بالذات .

لكن بلدان « العالم الثالث » ، وبالتحديد بلدان آسيا ، تثور ايضا على الاشكال المتخلفة القائمة في ماضيها الخاص ؛ فاذا بعالم اقطاعي ، او نصف اقطاعي ، يتحول ، في صورة « العالم الثالث » ، الى عالم عصري . لكن فرقا جوهريا يميز نشأة الامم ، وتبلورها ، في بلدان « العالم الثالث » ، عن نشأة الامم الاوروبية وتبلورها . فالحركة القومية في «العالم الثالث» لم توجهها الطبقة البورجوازية، كما حدث لدى تبلور الذات القومية في بلدان الغرب ؛ بل ان الطبقات الشعبية ، من الفلاحين والمثقفين والعمال ، لعبت دورا حاسما ، أن لم نقل الدور الحاسم ، في تجلي الشخصية القومية في بلدان « العالم الثالث » . لهذا لا بد من نسجيل الخطأ النظري الذي وقع فيه (ستالين) عندما اخذ على فكرة القومية كونها ادارة بورجوازية ، اذ قال : « يظل النضال القومي ، في جوهره ، دائما ، نضالا بورجوازي المنحى » . فمن يدرس تاريخ قيام الامم حديثا ، ويقظتها في مجمل بلدان العالم الثالث ، لا يسعه الا ان يدرك فداحة الخطأ الماركسي في فهم القومية ، ذاك الخطأ الذي تعبر عنه بوضوح ، هذه العبارة لستالين . ذلك ان اقامة الاسواق الداخلية في بلدان العالم الثالث لم تكن الهدف الرئيسي في العمل القومي في هذه البلدان ، انما الهدف كان الاستقلال السياسي » . ومن ناحية ثانية ، تكون الطبقات الاجتماعية ، في الامم الناشئة حديثا ، ذات طابع جنيني ، اي غير متجل كفاية ، وتتسم بصفة مزيجية ، أي ان تركيبها الواقعي لا يكون بورجوازيا ولا اشتراكيا .

القومية الوسطية

صحيح ان بلدان «العالم الثالث» كانت تضم طبقات اجتماعية مختلفة قبل التحرر من الاستعمار ، وان كل طبقة اجتماعية كانت

تتحسس الصدمة الاستعمارية على نحو مختلف عن تحسس الطبقه الاخرى لها ، وان مفهوم « القومية » يختلف لدى كل منها عنه لدى الاخرى . فالنواة البورجوارية الصناعية ، او التجاريه ، او طبقه الملاك العقاريين ، من شعوب بلدان « العالم الثالث » ، كانت تهدف ، من خلال حركة التحرر القومي ، الى السيطرة على مقدرات السلطه في الادارة والاقتصاد ، التي كان يتولاها الاوروبيون المستعمرون فى بلادها . لكن مصالح هذه الطبقات ، كانت ترتبط على الصعيد الداخلي ، بالابقاء على علاقات الانتاج القديمة في المجالات الزراعية والصناعية ، حيث تمكنهم سياسة الربائنية الاستعمارية من تأييد هذه العلاقات ، اي من جعلها تدوم الى ما لا نهايه ؛ الامر الذي يفرض على هذه الطبقات البورجوازية الموجودة في «العالم الثالث»، موقفا ازدواجيا : فهي ، من ناحية ، تريد ازاحة المستعمرين لتحل مكانهم في مراكز السلطة الداخلية ، ومن ناحية اخرى ، تريد مواصلة الارتباط بهم ، واستمرار نفوذهم ، لتؤمن لنفسها استمرار مصالحها . هذه الحقيقة الواقعية جعلت الطبقة البورجوازيه في بلدان « العالم الثالث » المتحرك باتجاه التحرر ، تميل الى صيغ المساومة مع المستعمرين : فهي لا تدفع بالنضال القومى حتى آخر مداه ، بل تتوقف في منتصف الطريق . انها تتفق ، احيانا كثيرة ، مع الاستعمار ، ومع القوى الامبريالية ، من اجل كبت الحركة الثورية القومية الكاملة ، في بلادها نفسها . وابرز امثلة على ذلك نراها في تاريخ التمخض الاستقلالي في الفيليبين وفي لبنان . خلاصة القول ان البورجوازية لم تكن سوى عامل وسطي في بلورة الفكرة القومية لدى بلدان « العالم الثالث » .

على العكس من موقف البورجوازية ، فقد ناضلت الطبقات الشعبية ، اي الفلاحين ، والمثقفين ، والعمال ، والجنود ، في بلدان « العالم الثالث » ، نضالا قوميا بينا . لقد ناضلت هذه الطبقات ليس فقط للتخلص من السيطرة الاجنبية التي كانت تثقل كاهلهم اكثر من غيرهم ، بل ايضا للتخلص من سيطرة الاسياد ابناء البلد ،

اصحـــاب الامــلاك العمارية الواسعــة ، والراسماليين المحليين ، والارستفراطيين الاقطاعيين . ان تاريخ النضال الحثيث في كل من سورية ، ومصر ، وليبيا ، والعراق ، والجزائر ، وغيرها ، يعطي براهين دامغة على هذه الحقيقة . لذلك نقول ان الحركة القومية اتخذت ، في « العالم الثالث » ، على يد الطبقات الشعبية ، طابعا جذريا : فالتحرر من الاستعمار والامبريالية لديهم ، يعني في نفس الوقت ، التحرر من نظام الاستغلال القديم ايضا . هذا هو معنى الحرب الثورية في فيتنام بنوع خاص .

بين هدين الطرفين المتضادين ، عاشت بلدان اخرى من «العالم الثالث» تجربة وسيطة ، مثلا : اندونيسيا وبورما . ففي هذين البلدين قادت النضال في سبيل الاستقلال نخبة مثقفة ، وهي طبقة قومية وسطى ، اصيلة ، وليس لهـــا ارتباطات بالامبريالية ، ولا بالمصالح الاقطاعيه. لكن هذه النخبة كانت تفتقر الى قواعد سياسية واجتماعية واسعه ؛ لانها تتألف ، اجمالا ، من بعض سكان المدن ذوي الصلات المحدودة بالجماهير . لكن ما ان حصلت تلك البلدان على استقلالها الوطني حتى تفكك فيها الاتحاد القومي ، وبرز تناقض المصالح ، الامر الذي أدى الى اصطدامات داخلية عنيفة ، انتهت بحروب اهليــة . ولا يمكن فهــم فتــرات الفوضى والاضطرابات الانفعالية ، التي حدثت في بورما ، واندونيسيا ، ولبنان ، وغيرها ... الا من خلال هذا المنظور .

تجدر الاشارة ، من ناحية اخرى ، الـــى ان عنف التحرك القومي ، في بلدان « العالم الثالث » ، يشتد او يلين تبعا لاشتداد او ليونة الاضطهاد السياسي والاجتماعي . ففي البلدان التي كانت فيها السيطرة الاستعمارية تعتمد بعض التراخي ، وتفضل لسبب او لآخر ، السير التدرجي باتجاه الاستقلال ، جرى انتقال السيادة الى ايد وطنية ، بصورة تصالحية سلمية : هكذا حدث في لبنان ، وفي الفيليبين ، وفي بورمـــا ، وغيرها . لكن عندما يكون الاستبداد

الاستعماري ، وتحكمه ، يسود متفردا في احد بلدان « العـــالم الثالث » ، ويحول دون اي اصلاح قانوني ، ويقمع بالقوة كل اشكال المعارضات الشرعية ، نرى الحركة القومية تمتشق السلاح لتنتزع الاستقلال انتزاعا : ان استقلال اندونيسيا ، واستقلال الفيتنام ، يشكلان برهانا على هذا .

بعض الامثلة

طبيعي ان تتطور النزعة القومية في بلدان « العالم الثالث » بالتناقض مع سيطرة الاستعمار ؛ لذلك نراها ضعيفة في تايلند ، لان تايلند لم تستعمر . ونجدها باهتة ايضا في المناطق التي عانت قليلا من الاستعمار الغربي ، ولم تعان الا قليلا من تقنيات الانتاج الرأسمالي . أي في البلدان التي يواصل فيها السكان حياتهم حسب طريقة العيش التقليدي ، دون ان تتدخل السلطات المستعمرة تدخلا قويا ، تاركة الشعب خاضعا لسيادة اسياده القدماء . والا كيف نفسر تأخر يقظة الشعور القومي في ماليزيا ؟ فالشعب الماليزي أطال نمط عيشه المبني علـــى اسلوب الزراعة الغذائية ، غير المرتبط بالاقتصاد الرأسمالي ، فطال معه ، في نفس الوقت ، خضوعه لسيادة السلاطين المحليين الاقطاعية .

لا تشتعل البـؤر القومية في « العـــالم الثـــالث » ، ويتأجج شعورها ، الا حيث يكون التدخل الاستعماري الغربي بالغا . بل ان الحركة القومية لا تأخذ الدرجة نفسها من العنف في جميع اقاليم البلد ذاته . وليس هذا الراي نظريا ، انما هو حصيلة ملاحظة لوقائع كثيرة منتشرة على امتداد تاريخ التحرر القومي في بلدان « العالم الثالث » . يكفي ، تدعيما لهذا الراي ، ان نجتاز البحر الضيق الذي يفصل جاوه عن كاليمانتان ، فـــي بـلاد بورنيــو : فكاليمانتان ، التي بقيت بمنأى ، اكثر من غيرها ، عن تأثير الحضارة العصرية ،

استجابت للدعوة القومية استجابة ضعيفة . وجاوه نفسها ، التي يعود احتكاكها بأوروبا الى فترة اقدم بكثير من غيرها ، لم تستيقظ لديها النزعة القومية الحقيقية الا مع بداية القرن الحالي ، اي منذ راح المستعمرون الهولنديون يضيقون عليها رقابتهم السياسية ، ويمركزون ادارتهم الاستغلالية في قلب هذه الجزيرة ، ويكثفون استثمارهم الاقتصادي لها .

النضال الوطني العفوي

طبعا ، لا يصح ان نسمي جميع الحركات المسلحة التي انتفضت في البدء ، بوجه الغزو الغربي ، حركات قومية . بل من الانسب القول انها حركات وطنية . لان هذه الحركات الاولية كانت موجهة من قبل الطبقات الحاكمة القديمة، المرتكزة الى قواعد واسعة من الشعب : ان تلك الحركات تمثل ردة فعل عاطفية ، شبه غريزية ، على الاعتداء الاجنبي ، وتعتبر ، بالقدر نفسه ، عن مجهود قامت به الارستقراطية المحلية التقليدية ، حفاظا على امتيازاتها ، ومواقعها في مستويات السيطرة . ضمن هذا المفهوم يندرج النضال البطولي الذي قاده ، ضد الهولنديين (ديبو نيفرو) من العام (١٨٢٥) الى العام (١٨٣٠) . وكذلك المقاومة الوطنية التي قادها مدة خمس سنوات ، ضد ضم بورما من قبل انكلترا ، الامراء الملكيون ، وكانوا رؤساء الادارة الاقليمية ، وعاونهم في ذلك رجال الدين البوذيون ، لدرجة اضطرت معها انكلترا ان تجيش بوجههم ما يفوق (٤٠٠٠٠) رجل . وفي كامبوديا قاد « سي فوتا » جيوشا وطنية بدائية ، مسلحة بالاقواس والنبال وببنادق الحصى ، ليقاوم غزوة « فنوم بينه » . ويمكن ان نضع في خانة النضال الوطني العفوي ، غير النابع من الشعور القومي المتبلور ، حركة « هام ــ نفي » و « تون ثاث ــ ثوييت » التي جيشت فيتنام في اعقاب سقوط « هيو » سنة (١٨٨٥) . ولم تخمد هذه الحركة ، التي

واصل ايقادها « فان دينه ــ فونج » ، وتابعت مسيرتها حركة « دي تام » ، الا تدريجيا ، مع بداية الفرن التالي .

هنا يبرز سؤال هام : لماذا فشلت الحركات ذات الطابع الوطني في دحر غزوات الاستعمار في بلدان « العالم الثالث » ؟ لا شك ان مجال الاجوبة واسع ومتنوع . قد يكون اقواها الجواب التالي : كان عدم التكافؤ بين القوى الغازية والقوى الوطنية المدافعة ساحقا ، لا سيما وأن المقاومة الارستقراطية كانت تشكو من عقبة كأداء : الافتقار الى الطابع القومي الحقيقي الفعال . لقد منعها هذا النقص من امكانية تنسيق عملها على امتداد ارض الوطن كلها . فحتى حركات المقاومة الوطنية ، ذات المحتوى اللاقومي ، التي كان يقودها ملوك ، تعثرت ، وفشلت ، بسبب غياب الرابطة القومية الموحدة ؛ اذ ان جماعات الانصار كانت تعمل ، كل في اقليمها ، دون ان تستطيع الافلات من الاعتبارات المحلية الضيقة . باختصار : ضعفت المقاومة الوطنية المسلحة ، في بلدان العالم الثالث، تدريجيا، بسبب افتقارها ، في البداية ، الى عنصر اليقظة القومية . لكن ما ان مضى زمن ، وتبلورت الشخصية الفومية في هذه البلدان ، بفعل التناقض مع الغرب المستعمر ، حتى قامت قوى اخرى ، مجهزة بالزخم القومي الجامع ، ودفعت حركة التحرر في اتجاه جديد اكثر فاعلية .

قاتلوا الاستعمار بأسلحته

بعد مرحلة الفزو وفرض الاستسلام على بلدان « العالم الثالث » ، واثر التمكن من احتلال مواقع امتن فيها ، اخذت السيطرة الاوروبية تقيم ادارتها ، وتبدأ استغلالها الاقتصادي . فكان من شأن هذا النشاط المزدوج ان ولد في اوساط السكان الاصليين ، عناصر طبقات اجتماعية جديدة : بورجوازية عقارية او تجارية ، وبروليتاريا المشاريع الزراعية والمنجمية . وكان فشل

حركات النضال الوطني المسلحة ، السابقة ، قد جعل النخبة المثقفة تفهم ضرورة استعارة اسلحة الغرب المستعمر الخاصة ، وتوظيفها في النضال ضده ، كي يصبح هذا النضال فعالا . وما عتمت ان انصبت على اكتساب علوم الغرب الاوروبي بحماس ، وادارت ظهرها لمقولات «الحكمة الشرقية» المستكينة ، التي اعتبرت مفلسة. وشجعت ارادة التحديث هذه ، المتعارضة مع نزعة الحنين الى الماضي الذي ميز الفترة السابقة ، برؤية التطورات المستجدة في ثلاث من كبرى بلاد العالم الثالث : الصين واليابان والهند .

التمغرب من اجل ازاحة الغرب

ان يابان عصر (المايجي) ، التي كانت أولى البلدان التي انطلقت في طريق التمغرب ، كانت قد تحولت خلال فترة قصيرة . ولم تكد تمر عليها فترة خمسين سنة ، حتى غدت قوة اقتصادية وعسكرية من الطراز الاول . وقد انتصرت حربيا ، بالتوالي ، على الصين ، ثم على روسيا . ولقد احدث انتصار اليابان على روسيا في معركة (بورت ارتور) سنة (١٩٠٤) ، دويا هائلا في كل القارة الآسيوية ؟ فانهارت ، بفعل ذلك ، فكرة التفوق الاوروبي الحتمي ، وتأكدت ، لدى شعوب بلدان العالم الثالث ، الفكرة القائلة ان بمقدور شعب من شعوب « العالم الثالث » ان ينتصر على الغرب ، شرط ان يتبنى تقنياته . وهكذا نصبت اليابان نفسها مثالا لسائر امم الشرق ؛ بل راحت تنادي برسالتها في تحرير هذه الامم من النير الاستعماري ، تحت شعار « آسيا للآسيويين » .

كانت هزيمة (١٨٩٥) قد احدثت هزة في « امبراطورية الوسط » الصينية . فحاول المصلحان السياسيان الصينيان « كانج يو ــ فاي » ، و « لانج كي ــ نشاو » ، اللذان كانا قد اقاما في اليابان ، ان يجددا بنية الصين البالية . فدخلت كتابات كل

منهما ، والترجمات التي نعلا فيها الى اللغة الصينية ، افكار الفلاسفة الفرنسيين والانجليز من القرن الثامن عشر ، الى الفيتنام، وكشفت للمثقفين فيها التيارات المتقدمة في الفكر الاوروبي . وعند انهيار سلالة الـ «ماندشو» بفعل ثورة (١٩١١) ، انتشرت نظريات « صن يات صن » ومبادئه ، « مبادىء الشعب الثلاثة » ، في جميع اقطار آسيا الجنوبية الشرقية ، بواسطة الجاليات الصينية التى التزمت بقضية (الكومنتانغ) . وكان تأثير انتصار « بورت ارثور » قد عجل اليقظة الهندية ؛ واذا بحزب « المؤتمر الهندي ، المؤسس عام (١٨٨٥) ، والذي كان يكتفي حتى ذاك الحين ، بطلب اصلاحات خجولة من لدن الدولة المستعمرة ، يطالب ، عام (١٩٠٦) بالاستقلال الناجز .

المستعمرون مهدوا لليقظة القومية

ثمة ملاحظة لا بد من ابدائها في سياق تبيان دور فكرة « القومية » في يفظة بلدان « العالم الثالث » : ان الاعمار الذي أتاه المستعمرون في مستعمراتهم ، لم يكن بدافع الرافة بشعوب هذه البلدان ، بل تسهيلا للمصالح الاستعمارية نفسها . كان عاملا مفيدا .

نركز على وسائل المواصلات بالضبط ، لانها الوسائل التي اتاحها الاستعمار لسكان اقاليم البلدان المحتلة . فلقد دعمت هذه الوسائل النزعة القومية في بلدان « العالم الثالث » ، اذ ساهمت المواصلات البرية والبحرية الجديدة في عملية اختلاط جماعات تنتمي الى امة واحدة ، كانت تجهل بعضها البعض، او تحاذر بعضها البعض حتى ذاك الحين . لكنها ، بفضل المواصلات والاتصالات المتبادلة ، اخذت تكتشف روابط عديدة فيما بينها . وثمة ملاحظة مكملة للاولى تشير الى ظاهرة فريدة جدا : ففي اندونيسيا

والفيليبين ، وهما الارخبيلان المؤلفان من جزر كبيرة ، تغطيها شعوب متنوعة ، تراوح اوضاعها بين البدائية الكاملة والتقدم الملحوظ ، كان من شأن مركزة الادارة الاوروبية ان حطمت ، نهائيا ، اطار القرية في النشاطات الفلاحية . ذلك ان هذه المركزة الادارية التي اقامها الاوروبيون ، بلغت درجه من المحورة لم تبلغها من قبل في عهود الملكيه القديمة . فأدى السلطان الكلي لتلك الادارة ، وتعسفها، وكبرياء المستعمرين الوقحة وعنصريتهم ، الى يقظة نفسية لدى الشعب المحلي ، المذل والمهان ، ترجمت حقدا على المحتل ، وتأجيجا للمشاعر القومية المشتركه في اطار من ذكريات الامجاد التاريخية .

الفكر كعامل رئيسي

ربما كان تأثير الافكار هو الاكثر اهمية . انها لم تنتشر عن طريق التعليم الرسمى ، الذي عمدت الحكومات المستعمرة الى تقليصه ، ما وسعها ذلك ، لكنها انتشرت عن طريق التداول السري للكتب المحظورة ، اذ كانت الشبيبة المتعلمة تقرأ ، بنهم كبير ، مؤلفات الفلاسفة ورجال السياسة الغربيين ، من روسو الى لينين . فاكتشفوا فيها ، بدهشة ، اعلان استقلال الولايات المتحدة الاميركية ، حيث تجلت بعض عناصر « فكرة القومية » ، واكتشفوا مبادىء الثورة الفرنسية الكبرى سنة (١٧٨٩) حيث تشكل فكرة القوميه السدى واللحمة ، وحيث يكثر التأكيد على حق الشعوب في تقرير مصيرها ، واكتشفوا الصراعات القومية الاوروبية خلال القرن التاسع عشر، كما اكتشفوا المحتوى الاجتماعي لثورة (اوكتوبر) السوفياتية . واكتشفوا، ايضا بالمقارنة مع اوضاع بلدانهم ، ان مثل الحرية والمساواة التى بنيت عليها الديموقراطيات الاوروبية ، لا تظهر البتة في مستعمراتها . لهذا السبب قضى العديد من ثوريى بلدان « العالم الثالث » حياتهم في المنفى ، لا في اليابان او الصين فحسب ، بل في اوروبا ايضا ، حيث كان

بمفدورهم التمتع بحريـة محظورة عليهم فـي اوطانهم الاصلية . والعديدون منهم جاؤوا الى اوروبا لدراسة الديموقراطية فـي مصادرها ، واسسوا هناك جمعيات سياسية : (جوزيه ريزال) ، و (نغوين آي ـ كوك) ، و (هوشي منه) و (شاهرير) ، وغيرهم كثيرون من رواد حركة التحرر في بلدان « العالم الثالث » ، تدربوا اولا في مدريد ، او باريس ، او امستردام ، او لندن ، قبـل ان يعودوا الى بلدانهم .

في اوروبا فقط كان هؤلاء الفوميون ، المنتمون الـى امـم مختلفة ، يستطيعون ان يلتقوا بحرية ، وان يمتلكوا الوعي بالمعضلات التي تعيشها بلدانهم . وبين استخدام اللغة الماليزية في اندونيسيا، ولغة كووك نغو في فيتنام على نحو اوضح من سواه ، نتائج السياسة الاستعمارية المناقضة لمراميها ، لقد كان الهولنديون يستخدمون اللغة الماليزية السوقية في الادارة ، وهي اللغة القديمة التي تستخدم في الارخبيل ، لانهم كانوا يريدون الحفاظ على مكانتهم وهيبتهم ، وتدعيم الشعور بالنقص لدى الاندونيسيين ، بمنعهم من استعمال اللغة الهولندية . والواقع ان الهولنديين كانوا يريدون بنـاء اسس تفوقهم على الجهل المحلي ، وكانت ردة الفعل ان استعمل الفوميون اللغة الماليزية بمثابة سلاح ضد السيطرة الهولندية ، فجعلوا منها لغة قومية اسهمت فيما بعد ، الى جانب الدين الاسلامي ، في تحطيم الخصوصيات الاقليمية والمحلية ، وكونت احـدى خمـائر الوعي القومي .

دور اللغات الشعبية

في فيتنام شجعت الادارة الفرنسية تعليم (الكووك نغو) ، تلك الكتابة التي استنبطها المبشرون ، في الفرن السابع عشر ، سعيا وراء غاية محددة بدقة : ازالة تأثير الثقافة الصينية ، وبالتالي تأثير

المثقفين الذين كانوا يشكلون ، آنذاك ، قادة المقاومة ومعارضي الانتداب الاكثر صلابة . وفي الواقع حلت (الكووك نغو) محل الرموز الكتابية الصينية ، لكنها تكشفت عن سهولة في الاستعمال وبساطة، بلغت حدا دفعت بالقوميين الى تبنيها كأداة لتعميم المعارف ، ولتجديد الثقافة الفيتنامية بالذات . وكان من شأن انتشار (الكووك نغو) ان اصبح احد مبادىء الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية .

الدين كعامل تحرر

ولعب الدين ، في بعض البلدان ، دورا من أهم الادوار في نهضة الحركة القومية في « العالم الثالث » ، شأن البوذية في بورما وكمبوديا ، والاسلام في اندونيسيا والجزائر ، وليبيا . والدين لا يؤثر بسبب كونيته التي تجعل المؤمنين متعاضدين فحسب ، ولا يؤلف رابطة مشتركة بالنسبة لغالبية السكان فقط ، انما يشكل رمز اعادة تجميع السكان ، تحت شعار القيم التقليدية ، بوجه الغازي الغريب ، حامل الايمان المختلف عن ايمان الامة . ولقد ارتفعت حظوة الدين القديم بفضل السلوك المتألق الذي سلكه كهنته الذين انضموا الى صفوف المقاومة في بورما ، وكمبوديا ، واندونيسيا ، ضد انكلترا ، وفرنسا ، وهولندا . فقاد الكهنة البوذيون التمردات القومية في بورما تحت شعار : « بورما للبورميين البوذيين فخارجا أيها الهولنديون والبريطانيون المسيحيون » . لقد طبع المذهب البوذي بعمق ، عقلية اجيال البورميين بقيمه التربوية ، خالقا بنية نفسية مماثلة لدى افراد الشعب ، ولا يخفى إن بنية من هذا النوع تندرج في حساب العناصر القومية ؛ فالتسامح البوذي ، والمثل الاعلى البوذي في الرحمة والمساواة ، تركا اثرهما على فكرهم السياسي . وعلى النحو ذاته تجلى الاسلام عن كونه اداة تقدم ورابطة قومية بالنسبة لاندونيسيا ، اذ ان اندونيسيا تلقت تأثير

الحركة التحديثية التي تطورت في القاهرة خلال السنوات الاولى من القرن العشرين ، ذاك التيار الذي يحاول ان ينقي الدين من بعض الشوائب التي علقت به عبر السياق التاريخي ، ويجعل منه اداة تقدم اجتماعي . ولم تتطور وتنم ردة محافظة الا في وقت متأخر ، لكن تلك الردة ، بفعل تعارضها مع افكار الغرب ، اصبحت صافية على الصعيد السياسي على الاقل ، في المواقع الاشد قومية.

وكان مقابل تأثير المذهب البوذي والدين الاسلامي ، وسيطرتهما في بلدان العالم الثالث ، يبدو ضعف جاذب المسيحية بين شعوب الشرق عامة ، وربما كان السبب الاساسي في فشل المسيحية في هذا المجال ناجما ، بالتأكيد ، عن كونها مرتبطة بالغزو الغربي الذي كان المبشرون المسيحيون ، في بلدان العالم الثالث ، طليعة له . أي ان ديانة لا تشكل جزءا من التراث القومي ، ولا تحمل نبضات الذات القومية، لا يمكنها ان تشارك في حركة شعب يستيقظ بصفته امة . لذلك لم تلق الدعوة المسيحية استجابة تذكر في بلدان « العالم الثالث » ، ذلك ان الجماعات المحلية لم تقدم اية مساندة للجيوش الاجنبية ؛ وخلال مدة طويلة من الزمن ، لم تحظ الادارة الاستعمارية ، عمليا ، بمتعاونين معها ، كما لاحظ احد الاميرالات الفرنسيين لدى وجوده في اقليم (كوشينشين) من الهند الصينية ، « الا من المسيحيين والاشقياء المحليين » .

لم تحدث المسيحية ، اذن ، تأثيرا ايجابيا يذكر على صعيد تطور الشعور القومي في بلدان « العالم الثالث » ، ولا على الفكر المحلي المتحرك باتجاه التقدم . اما الظاهرة التي نراها في الفيليبين ، فليست سوى استثناء ظاهري : صحيح ان نسبة المسيحيين مرتفعة جدا بين الشعب في الفيليبين ، لكن لا بد من ملاحظة ان الاسبان لم يجدوا ، وقت وصولهم الى هذا الارخبيل ، سوى جماعات مبعثرة من السكان الاصليين الذين لا معتقدات عميقة لهم ، أي ليس لهم ديانة مرتبطة بشخصيتهم القومية ، باستثناء الموارسة المسلمين ؛

وهؤلاء ظلوا بمنأى عـــن التأثر بالمسيحية ، لا سيمـــا الكنيسة الكاثوليكية التي استثارت احقادا عنيفة لدى السكان ، بسبب استيلاء رجالها على اراضي الفلاحين الفقراء ، ومعاملتهم للكهنة المحليين بروح التمييز العنصري ؛ وطالما تجلت هذه الاحقاد بشكل انتفاضات شعبية دورية ضد الحكم الاستعماري الاسباني. والواقع ان القومية الفيليبينية تكونت بمثابة ردة فعل علـــى الكنيسة الاسبانية لا بتأثير منها .

دور الطبقات الشعبية

في بداية القرن العشرين تبدل اتجاه الحركات القومية في غالبية بلدان « العالم الثالث » ، ان لم نقل في جميعها . اذ انتقل من ايدي الطبقات الارستقراطية والاقطاعية التفليديتين ، الى ايدي طبقات اجتماعية شعبيـــة جديدة ، مولـــودة وناشئة فـــي ظـــل الحكـــم الاستعماري . الحقيقة ان الارستقراطية كانت قد قبلت ، بوجه عام ، عدا اقلية قومية فذة منها ، السيطرة الاجنبية التي حافظت ، تملقا وتكتيكيا ، على المواقع الشكلية لتلك الطبقات المحلية المستغلة، وفي الوقت نفسه جردتها من سلطاتها الفعلية . فحكام (جاوه) ، والموظفون الفيتناميون الكبار ، وسلاطين ماليزيا ، كانوا ينتقون من ابناء العائلات العريقة . لكنهم ، عمليا ، اصبحوا مجرد موظفين في الادارة الأستعمارية التي كانت تغض الطرف عـــن تجاوزاتهم ، لتربطهـــم بعجلـــة مصالحها . وهكـــذا ربطت مصالحهم بمصالح الاوروبيين .

لذلك ، عندما بدأ النضال القومي الفعلي ضد المستعمرين ، عمدت هذه الطبقات المرتهنة الى عرقلته ، بل مكافحته ، بـــدل ان تعضده ، لأن هذا النضال من شأنه ان يطال امتيازاتهم التقليدية ، باسم الامـــة والشعب ، وخدمة للمصلحة القومية . ولـــم يصل

الواعون منهم الى مستوى التخلي عن افكار طبقتهم المغلقة ، والى الانخراط في صفوف الحركة القومية ، وتبوء مراتب قيادية فيها ، الا في مناسبات نادرة .

ان ابرز الامثلة على انخراط افراد من الطبقات المحلية المحظوظة في صف نضال التحرر القومي ، نجدها في حياة (فان بواشو) ، و (فان شو ترينيه) ، هذين المثقفين الفيتناميين الكبيرين، اللذين رفضا المناصب التي قدمت لهما في بلاط « هيو » ، برغم فوزهما بأوسمة ارفع المباريات الثقافية ؛ فقضيا عمرهما في النضال من اجل بلادهما . ولقد رفض كلاهما النظام الملكي ، وارادا تجديد حياة الشعب بنشر التعليم ، وبناء نظام يحترم حياة الشعب ويخدم مصالحه . وكان رأيهما ، ان التغيير السياسي يسير جنبا الى جنب مع التحديث الاقتصادي ؛ ذاك كان معنى تأسيس الجمعيات التجارية ، التي لا نعبر ، كما قيل ، عن تطلعات « بورجوازية فتية » ، بل عن رغبه في تربية المثقفين المصلحين .

دور الطبقات الوسطى

كانت الرغبة في التحديث هى ايضا ، ما يلهم المنظمات التي شكلت في نفس الفترة ، في كل من الفيليبين وبورما واندونيسيا . ففي اندونيسيا ، التى اخضعت قبل غيرها للسيطرة الاوروبية ، نتج عن توسع الادارة الهولندية ، وعن تطور المبادلات ، نواة من الموظفين الصغار والتجار . هذه العناصر المتطورة لطبقة وسطى هي التي تولت عبء بناء احزاب قومية : كالحزب البوذي « اوتومو » ، الذي تأسس عام (١٩٠٨) ، وهو جمعية مثقفين ، وخاصة « السراكات اسلام » ، الذي تأسس سنة (١٩١١) ، والذي اصبح ، خلال بضع سنوات، بفعل دمجه النشاط الدينى بالنشاط التجاري، حزبا سياسيا ضخما يضم مليونين ونصف المليون من الاعضاء .

ولقد حلل حقيقة هذا الحزب تحليلا صائبا ، تقرير رسمي من الادارة الاستعمارية الهولندية في اندونيسيا ، نشر سنة (١٩٢٠) . لقد جاء في هذا التقرير : « ان ما يؤلف طبيعة الحركة المحلية هو العمل على ابعاد التقييدات التي جاءت بها المشاريع الرأسمالية الاجنبية ، وذلك عن طريق محاولة انهاء السيطرة الاجنبية الكاملة، بشقيها : السياسي والاقتصادي . فجوهر الحركة القومية هو ، بالضبط ، تمرد القوى المنتجة المتنامية للمجتمع المحلي الذي يعيش في بداية الرأسمالية ، على سيطرة رأس المال الاجنبي ، الاقتصادية والسياسية » .

الحرب العالمية الثانية هدمت الامبراطوريات

لقد ولدت الحرب العالمية الاولى مضاعفات هامة في بلدان « العالم الثالث » ، الآسيوية منها بنوع خاص ؛ ذلك ان منافسات الدول الاوروبية ، وانقساماتها ، ظهرت الى العلن ؛ والمنتصرون انفسهم ، خرجوا من النزاع في حالة ضعف . فرفع قوميو بلدان « العالم الثالث » ، لا سيما في آسيا ، شعارا نضاليا ديموقراطي المنحى : « من اجل العدالة والحضارة » . وجاهدوا في سبيل تخلصهم من الامبراطوريات المركزية ، ومن اجل تأكيد حق الشعوب في تقرير مصيرها ؛ وكانوا ، بصورة تكتيكية ، يطرحون ، كدعاية لنضالهم ، مبادىء ولسن الاربعة عشر .

واخيرا جاءت ثورة اوكتوبر الروسية عام (١٩١٧) مطلقة دعوة عالمية للنضال ضد الامبريالية .

وفي الهند قام غاندي على رأس الحركة القومية ؛ فكان من شأن تكتيكه القائم على اللاعنف ، وعلى العصيان الجماعي ، ومقاطعة المنتوجات الاجنبية ، ان خلق انصارا عديدين في آسيا الجنوبية ــ

الشرقية ، لا سيما في بورما واندونيسيا . ولقد تأثرت فيتنام نفسها تأثيرا مباشرا باحداث جارتها الكبيرة الصين ، حيث كشفت حركة طلاب بيكين سنه (١٩١٩) ، واضرابات هونغ كونغ الكبرى عام (١٩٢٢) وشانغهاي عام (١٩٢٥) ، عن اندفاع حركة اليسار .

المنظمات والاحزاب هي التي حسمت

تمثل فترة (١٩٢٠ – ١٩٣٠) عهد انطلاق المنظمات القومية في كثير من بلدان « العالم الثالث » ، تلك المنظمات التي كانت تقودها عناصر من البورجوازية ، ومن الطبقات المتوسطة ، التي اكتسبت وعيا اكثر توترا لحالة العبودية التى تعيشها هي ومجمل شعب امتها في آن معا . فالمنظمات التى تقودها البورجوازية لم تكن تطلب سوى مشاركة اوسع في السلطه ، ضمن اطار النظام القائم ، وتطوير النشاطات الاقتصادية المحلية . تلك هي حال « الحزب الدستوري الكونتنشينى » او الحزب القومي الفيليبينى . لكن الاحزاب التي اسستها النخبة المثقفة ، ذات الارومة الشعبية ، برهنت عن روح كفاحية اشد ، ومواقف راديكالية اعمق . كان مطلبها هو الاستقلال الناجز بالذات . والاستقلال هو المطلب الذي تعمل في سبيله ، وفي سبيله تعتمد الكفاح المسلح ، عند الحاجة . يتجلى هذا الموقف في برنامج « اللجنة العامة للجمعيات البورمية » في رانغون ؛ وفي برنامج « تان فييت » وفي برنامج « حزب فيتنام الجديده » ، وفي برنامج حزب سوكارنو « الحزب القومي الاندونيسي » .

لكن الحكومات الاستعمارية ، الواثقة بقواها العسكرية ، لم تقبل الا باصلاحات باهتة ، رغم تصاعد تلك الحركات القومية الاستقلالية ونموها . ففي بورما ، اعتمدت انكلترا نظاما يولي البورميين وزارتي التربية والصحة العامة ، لكنها احتفظت بالحقائب

الاكثر اهمية . واتيح للهند النيرلندية ، عام (١٩١٨) ، ان تنشىء لنفسها « مجلس شعب » . لكن هذا المجلس كان يضم اكثرية من المستوطنين الهولنديين ، ومن اعضاء تعينهم السلطة المستعمرة عموما من صفوف الموظفين . ولم يعط له سوى دور استشاري . واحَدثت للهند الصينية هيئات ، من النموذج نفسه ، وضعت تحت وصاية شديدة تمارسها الادارة الفرنسية الاستعمارية . وكانت الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي وعدت الفيليبين ، بدافع مصلحة اقتصادية ، منذ العام (١٩١٦) ، بالاستقلال ، وخلقت نظاما نصف تمتيلي مؤلفا من مجلسي شيوخ .



٢

مميزات «العالم الثالث»



المميزات الكبرى

اذا كان المرء مضطرا الى استعمال معايير متعددة لاعطاء فكرة كافية عما يسمى بـ « البلدان المتخلفة » اقتصاديا ، او « البلدان النامية » ، فان المقاييس التي ينبغي اعتمادها لتوضيح كون العالم الثالث اوفر عددا ، واكثر تنوعا ، واشد تعقيدا ، تتركز على تعيين ما يميز فكرة « العالم الثالث » عن فكرة « الدول النامية » ، تحاشيا للخلط بين جوهر كل منهما . والحقيقة ان عبارتي « العالم الثالث » و « البلدان النامية » لا تتطابقان تماما ، وان كان بينهما بعض المعاني المشتركة . فبعض البلدان الاوروبية ما زالت « بلدانا نامية » دون ان يحق لها الانتساب الى « العالم الثالث » ؛ وبالعكس ، فالصين ، رغم توصلها الى انتاج القنابل النووية ، لما تزل تنتسب الى « العالم الثالث » ، ذلك ان ثمة انتماءات تاريخية وثقافية وسياسية تلعب دورا هاما في التصنيف يساوي الدور الذي يمثله مستوى النمو الاقتصادي ، او الديموغرافي ، او نسبة التعليم .

على كل حال ، قد يكون من غير المجدي ، عمليا ، الاكثار من تعداد الفروقات المميزة بين « العالم الثالث » و « البلدان النامية » ما دام ثمة جامعٌ مشتركٌ اساسي بين الحقيقتين .

محاولة تعريف « العالم الثالث »

ان الثورة الصناعية ، التي اصبحت اليوم ثورة علميه وتفنية، انطلقت تاريخيا ، من مراكز جغرافية محدودة جدا في العالم، موزعة صناعاتها وآلاتها في ارجاء الكرة الارضية . لكنها ، في نفس الوقت، اقامت علاقات اجتماعية ، وخلقت مواقف سياسيه خاصة في مجمل بلدان العالم . لقد حدث ذلك ، في المرحلة الاولى من تاريخ العصر الصناعي ، متخذا شكل السيطرة الاستعمارية ، تلك السيطرة التي كانت تحتل اراضي البلدان المستضعفة ، وتستغل مصادرها ، وتفرض عليها انماطا من التبدل الاقتصادي والاجتماعي، المؤاتي لغايات الدول المستعمرة ، ان تستثير فيها تحولات جذرية تنطوي على احتمالات مختلفة .

في مرحلة زمنية لاحقة ، اخذت الشعوب الواقعة تحت الحكم الاستعماري تتحرر وتعمل على اتخاذ مبادرة التحول المفيد ، او على استعادة هذه المبادرة المسلوبة ابان فترة الحكم الاستعماري . الا ان كثافة الشعور التحرري ، ظلت ، امدا ليس بقصير ، تعوض ، في حالات عديدة ، عن النقص في انطلاقة التقدم الفعلي ؛ تلك الانطلاقة التي ظلت تتعثر بسبب معارضة الضغوط الخارجية ، والتشنجات والتصلبات الداخلية ؛ الامر الذي خلق في البلدان المتحررة حديثا ، التواءات جديدة تتشابك مع الصعوبات السابقة ، فأصبح عندئذ من الصعب القول عن مجتمع ، او امة ، او حتى عن ثقافة ، ما اذا كانت تنتسب او لا الى « العالم الثالث » .

ليس العالم الثالث ، من هذا المنظور ، هو تماما مجموعة البلدان الفقيرة المقابلة للبلدان الغنية ، وليس ايضا مجموعه المناطق المتحررة من استعمار سابق ، بالمواجهة مع دول الاستعمار الجديد . ان هذه التسميات تنطبق ، في اساسها ، على بعض العلاقات ، او بعض المستويات في مسار الحضارة الصناعية العالمية .

على انه يمكن تحديد تعريف جغرافي حضاري في وقت واحد ، فيقال : ان العالم الثالث هو مجموعة مناطق الكرة الارضية التى لم تتحقق فيها التكنولوجيا بعد تحقيقا كافيا ، ولا اندمجت مع العوامل الاخرى المكونة لشخصية الجماعة ، او الشعب ؛ أي ان العالم الثالث هو مجموعة البلدان التي لما تزل تبحث عن اقامة توازن ثابت بين المقتبسات والموروثات والمبتكرات .

لكن لا بد من الملاحظة بأن الامم والمجتمعات والثقافات الباحثة عن مثل هذا التوازن ، والتي يشكل مجموعها « العالم الثالث » تتفاوت بين بعضها تفاوتا ملحوظا ، ان من حيث الاساليب التي تتبعها لبلوغ التوازن المنشود ، وان من حيث فاعلية الجهود التى تبذلها في سبيل تحقيقه . وتتأثر علاقاتها مع البلدان الاخرى ، بصورة عامة ، بالمستويات التي تكون قد بلغتها في هذا المضمار . فان الخلل الذي ما يزال ماثلاً على صعيد التوازن بين المقتبسات والموروثات والمبتكرات في بلدان « العالم الثالث » هو الذي يجعل ربع البشرية في عصرنا ، يتحكم بثلاثة ارباع المصادر في العالم ، ويسيطر ، اما مباشرة واما مداورة ، على ثلاثة إرباع العالم . وهكذا يشكل الافلات من هذه السيطرة متعددة الاشكال ، والغاء هذا التفاوت ، ابرز اهداف الحركة البشرية في العصر الحاضر ، لا سيما لدى بلدان « العالم الثالث » .

بدأت عبارة « العالم الثالث » ، هذه العبارة المرتبطة بظرف معين من ظروف التاريخ ، والدالة على حالة ناشئة عن نوع معين من العلاقات بين الشعوب ، بدأت نطلق بشكل تعميمي ، منذ بداية الحرب الباردة ، على جميع البلدان التي لا تغطيها لافتة « الغرب الليبرالي » ولا لافتة « الاشتراكية السوفياتية » . واليوم اصبحت هذه العبارة تعني حالة ضيق جماعي يحاول كل شعب من الشعوب التي تعانيه التخلص منه بأسرع ما يمكن ، عن طريق تكوين شخصية جديدة خاصة به ، او استعادة الشخصية التي كانت له ، او يفترض

انها كانت له ، في الماضي ، بغية اللحاق بالتاريخ الناشط ، واكتساب صفة « العصرية » . ولعل أهم ما يميز الانتماء الى « العالم الثالث » هو ، اولا ، ارادة تجاوز واقع « العالم الثالث » ، قبل تحقيق هذه القفزة التجاوزية ، وثانيا النضال ضد بلدان اخرى ، الامر الذي يؤدي الى التنسيق بين دول وطبقات واحزاب ، تنسيقا يتجاوز التعريف الوارد آنفا ، ويتجاوز البلدان التي ينطبق عليها هذا التعريف انطباقا كاملا تقريبا .

المميزات السياسية

عند انتهاء الحرب العالمية الثانية نال اكثر من مائة شعب استقلاله ، ان بشكل مفاوضات تصالحية مع الدول المستعمرة له سابقا ، وان بالتصادم العنفي معها . وابرزت هذه الشعوب المتحررة على الفور ، شخصيتها المميزة . فأصبح من الضروري اكساب هذه الاطر القومية الجديدة محتويات اقتصادية واجتماعية وثقافية .

جاء مؤتمر باندونغ ، من (١٨) الى (٢٤) نيسان (ابريل) سنة (١٩٥٥) ، ليتوج عددا كبيرا من المؤتمرات الافريقية والاسيوية ، والافرو ــ آسيوية السابقة ، حيث كانت مواقف زعماء كبار ، امثال جمال عبد الناصر وجواهر لال نهرو ، وشو آن لاي ، واحمد سوكارنو ، وقوامي نكروما ، وهوشي منه ، تمهد لنشوء عقيدة شبه موحدة تغطي « العالم الثالث » ، ولا تتوقف كثيرا عند المقتضيات التكتيكية للعمل السياسي المنسق .

ففي القاهرة ولدت (منظمة تعاون شعوب افريقيا وآسيا) في مطلع سنة (١٩٥٨) بايحاء مركز من جمال عبد الناصر ، وبتوجيه فعال منه ، ضامة جميع شعوب البلدان الافريقية المستقلة حديثا ، والشعوب المناضلة في سبيل التحرر من الاستعمار . وكانت سبحة

الاستقلالات قد كرت منذ الحرب العالمية الثانية . وجاء نجاح الثورة التي قام بها فيديل كاسترو في كوبا ، سنة (١٩٥٩) ، وتحرير الجزائر ، سنة (١٩٦٢) ، يرفدان حركة التحرير في العالم بتجارب جديدة غنية ، ويمنحانها صيغا سياسية واجتماعية فذة . ونشأت في المناطق التي ما زالت مستعمرة ، وفي البلدان ذات الانظمة الرجعية ، ثورات مسلحة ، فيما كانت حرب فيتنام الطويلة تتابع سيرها بالشكل الكلاسيكي وبالحرب الشعبية سواء بسواء ، وبشكل غارات فدائية ايضا . وشمل هذا النضال جميع انماط المقاومة للتدخل الاجنبي ولأنظمة الحكم الرجعية المحلية .

والتأم مؤتمر (هافانا) ، في كانون الثاني ـ يناير ـ سنة (١٩٦٥) ، طامحا الى جمع كافة جهود النضال في « العالم الثالث » ضمن نسق واحد متضامن . وبالرغم من ان الانقسامات وتضارب وجهات النظر وخيبات الامل ، لعبت وما زالت تلعب في هذا المضمار ، دورا مفشلا ، وبالرغم من ان منظمات اقليمية ، مثل (منظمة الوحدة الافريقية) و (منظمة افريقيا ومدغشكر المشتركة) و (المجلس الاقتصادي لاميركا اللاتينية) و (الجامعة العربية) وغيرها، لم تتخلص لا من الشقاق ولا من بعض الافشال، نستطيع القول ان فكرة التضامن السياسي بين بلدان « العالم الثالث » ما زالت تتقدم ؛ بل ثمة ما هو اكثر من الفكرة : فهناك محاوله تنظيم ، فاذا كانت هذه النزعة تتأكد ، فذلك لا يكون بواسطة لعبة الاكثرية في الامم المتحدة فحسب ، بل ايضا بفعل التضامن الدولي وبفعل المشاركة بالقدرات الاقتصادية والسياسية الهامة التى يتمتع بها « العالم الثالث » ، والتي يجيشها للدفاع عن مصالحه واهدافه ضد سيطرة الدول المتقدمة واحتكاراتها ، وبصورة اعم ، ضد الاوضاع المكتسبة وضد ترسبات الماضي .

بالتوافق مع هذا الزخم السياسي ، يتجلى جهد « العالم الثالث » ، بشكل واقعي اكثر ، كما يقول بعض السياسيين ، على صعيد الخلق الاقتصادي . واهم هدف طموح بين اهداف العالم الثالث ، هو جعل معدل نمو الانتاج الوطني الخام ارفع من معدل النمو الديموغرافي ، لدرجة تتحقق معها زيادة في الامكانيات الاستهلاكيه وزيادة في إمكانيات التوظيف الاقتصادي والثقافي .

ان هدفا كهذا يستوجب ، من بلدان « العالم الثالث » اعاده نظر دائمة في الخطط الانمائيه والتطويرية . لذلك يتحتم عليها ان نعيد تقييم الامكانيات المادية والبشرية التي توفرها ارض الوطن ، من الاساس . وتتطلب اعادة التقييم هذه ، قبل كل شيء آخر ، اجراء جردة ، اي اجراء احصاء دقيق ، غير تقليدي ، للامكانيات المتوفرة في البلاد . ذلك لان بلدان « العالم الثالث » ليست بلدانا متخلفة اقتصاديا فحسب ، بل هي بلدان يعوزها المسح الانمائي ، ماديا وبشريا . لهذا السبب يتحتم على بلدان « العالم الثالث » ان تتيح لمختلف العلوم العصرية ان تلعب دورها في عملية المسح الوطني. واذا كان صحيحا ان التحرر من الاستعمار يقوم على اعادة تجذير الزراعات القومية في اعماق البيئة الوطنية المؤاتية ، فاننا نفهم عندئذ اهمية المشاريع الاساسية التي تبدل معالم البيئة ، واهمية تنشيط الانتاج الصناعي الذي يحمل في ذاته قيما مادية ورمزية . . .

لهذا السبب يبدو الاعتماد على مصادر التصدير وحدها ، لا سيما تصدير المواد الاولية الذي يحتم اعتماد الزراعة الاحادية ، او استغلال المناجم الاحادية ، بمثابة مراوحة ضمن حدود الماضي .

لقد تنبهت معظم بلدان « العالم الثالث » الى ضرورة السيطرة الفعالة ، قدر الامكان ، على قوانين السوق العالمية . وهذا المطلب يتحقق مثلا ، بمحاولة تنظيم سوق البترول ، اذ تتشاور

الدول التي تنتج هذه السلعة ، وجميعها تنتمي الى « العالم الثالث » للاتفاق على طريقة بيعها من الدول المتقدمة . وكذلك نشاهد ، في ايامنا ، نظام الامتيازات المعطاة للدول الكبرى في استثمار الموارد في الدول النامية ، وقد اخذ يزول ويحل محله نظام الاستثمارات الوطنية ، سواء كانت هذه الاستثمارات تتم عن طريق الدولة أو عن طريق الشركات المحلية . وجميع هذه الاجراءات تؤول ، ليس الى توزيع للارباح اكثر عدالة وحسب ، بل الى تنشيط اراضي الوطن ، وهذا بحد ذاته يشكل احدى افضل طرق استخدام الطبيعة من قبل الانسان . وعلى هذا ، يعني التحرر من الاستعمار، بالنسبة الى بلد ينتمي فعلا الى « العالم الثالث » تثقيف طبيعة الوطن وتجذير الثقافة في الطبيعة الوطنية .

ان ارادة استعادة السيطرة على الموارد الوطنية وامتلاكها واستعمالها استعمالا كاملا، هي التي تحرك عمليات التطور في بلدان « العالم الثالث » ؛ علما بأن غالبية عمليات التطور تثير ، طبعا ، المناقشات والمنازعات . وليس المقصود بالمنازعات هنا ، التناقض المستحكم مع الشركات او البلدان المستفيدة وحلفائها فقط ، بل المعضلة العالمية المتمثلة في كون السوق العالمية تتبع نزعة مزمنة ، هي تخفيض اثمان المواد الاولية ورفع اتمان المنتوجات الصناعية . ولنفترض ان العديد من هذه المنتوجات اصبحت من انتاج بلدان كانت ، من عهد قريب ، خاضعة للاستعمار ؛ فمثل هذه البلدان اصبح موجودا بالفعل ، عندها يظل باستطاعة المراكز الصناعية القديمة ا نتتخصص في الصناعة الرفيعة (آلات ، تعدين طليعي ، تجهيزات الكترونية . . .) الامر الذي يبقي على التفاوت بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية المتجددة في التصنيع ، بل يزيد من حدته . ونلاحظ ايضا ان افعال المبادرة الاقتصادية ، عندما تنشط على مستوى مجموع العالم الثالث ، توجه الانتقادات الى الادارة المالية، محملة اياها مسؤولية اتاحة المبادرة لمجموعة قليلة من الدول لتلعب بمصائر غالبية الشعوب ، اذ ان المال يحسم لصالح البلدان

الغنية المتقدمة جزءا كبيرا من التطورات الاجتماعية ـ الاقتصادية في العالم .

تلك هي أهم المسائل المطروحة والتي اثارت مواقف مختلفة باختلاف البلدان وظروفها . ينجم عن ذلك ان انطلاقة سكان العالم الثالث لن تستطيع ان تتحقق عـن طريق الاصلاحات الداخلية وحدها ، لان هذه الاصلاحات ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقات الدولية التي ينبغي ، بالتالي ، تعديلها . من هنا نشأت حده المناقشات اثناء اجتماعات (مؤتمر الامم المتحدة للتجاره والانماء) واثناء المؤتمر المنعقد في سانتياغو ، في تشيلي ، خلال شهر ايار ـ مايو ـ سنة (١٩٧٢) الذي فشل . ولا مجـال هنـا مـن التركيز الكبير علـى استعراض جميع جهود « العالم الثالث » ، لان ذلك يدخل فـي مضمار الدراسة الاختصاصية . يكفينا الآن التذكير بأن تلك الجهود المندرجة في سياق المبادرة الاقتصادية المتخذة في بلدان « العـالم الثالث » تميز التطور الحالي والمستقبلي لهذا العالم ، كما يتميز بالنضالات القومية والدولية ضد الصعوبات المختلفة .

المميزات الثقافية

ان انظمه الحكم في بلدان « العالم الثالث » التي تعيش في جو صراعـي مشدود ، لكونها تنـاضل ، ضد الانقسامات الداخليـة والضغوط الخارجية معا ، تتبنى ، في الغالب ، اسلوبا صارما ، تنتقد عليـه . لكـن المنتقدين يتناسون الامتيـازات والحقوق الاستنسابية التي تمتعت بهـا البورجوازية ابان مرحلـة تكوين الاقتصاديات الغربية ، والعنف الماكر الذي يختفي خلف ممارسات الاقتصاديات الاحتكارية الراهنة .

على كل حال ، تتميز انظمة الحكم في بلدان « العالم الثالث »

في اكثر الاحيان ، بالاساليب الحازمة ، التي تبرز دور الزعماء . فهؤلاء الرجال الذين يمثلون في بلدانهم دور صانعي التاريخ ، يشتركون جميعا في تجييش تأييد الجماهير لأنفسهم ؛ فيلجأون الى استفتاءات شعبية رمزية لا تكفي للتفطية على تجاوزات البعض منهم . وبالرغم من ان جميع الزعماء في بلدان « العالم الثالث » يستندون ، في قراراتهم ، الى مقتضيات الانماء الاقتصادي والثقافي ؛ الا انهم ليسوا جميعا جديين في هذا الاتجاه . فهل تراهم ينشغلون بمتطلبات اكثر الحاحا ؟ ليس الجواب على هذا السؤال بالامر السهل ، كما انه ليس بالضرورة ، تفاؤليا ، دائما .

مهما كان الامر ، فتأميم قناة السويس ، واعادة النظر في الامتيازات الممنوحة لشركات النفط الاجنبية ، وتحرير الاراضي من ايدي الاستعمار ، جميعها اعمال تضفي على سياسات انظمة الحكم في « العالم الثالث » شرعية جديدة ، وتبرر ، الى حد كبير ، اساليبها التي تشكو نقصا من ناحية الحقوق الديموقراطية . والمبدأ النظري الاساسي لتبرير اسلوب الحكم السلطوي في غالبية بلدان « العالم الثالث » هو الآتي : ليس باستطاعة شعوب « العالم الثالث » المعنية ان تبني آمالها على ديموقراطية ليبيرالية ليست في الحقيقة ، سوى قناع يخفي شهوات الطبقات الاجتماعية الاقوى ، والتكتلات المصلحية ، ونشاطات الافراد الاستغلالية . يخطىء الذين ينتقدون سياسات انظمة الحكم في بلدان « العالم الثالث » كثيرا عندما يعيبون عليها تجاوزاتها للمقولة الديموقراطية . لأن فهم هذه السياسات يقتضي ان نأخذ بعين الاعتبار اوضاع هذه البلدان ، وان نتفحص المقاييس الخاصة المعتمدة فيها ، تلك المقاييس المرتبطة بنوعية ثقافية وبظروف زمنية ، وبحاجات واقعية حادة .

باختصار ، لا يمكن فهم اساليب الحكم في بلدان « العالم الثالث » الا اذا ربطناها بأربعة عوامل هي : فعالية المساندة الجماهيرية لها ، والصفة الخلاقة التي تتجلى فيها ، وكفاءتها في

التنشيط الاجتماعي المديد ، وابراز ضرورة المتطلبات الوطنية ذات المستوى الهام .

ان المهام الاساسية التي تواجه انظمه الحكم في بلدان العالم الثالث ، وترغمها على اهمال الاسلوب الديموقراطي هي بالفعل ، مهام جوهرية لا تحتمل التأجيل ، وفي الحين نفسه قد نعذر اصحابها في بعض اساليبهم الحازمة ، والا كيف يمكن التصدي الفعال لمتطلبات التعليم والصحة العامة ، والاصلاحات الزراعية ، واستثمار المناجم ، ومد المواصلات ، وبناء المساكن ، والتأهيل التقني ، وتجهيز الدفاع الوطني ، وضبط الامن ؟

صحيح ان عبارة « العالم الثالث » حديثة العهد ، لكن حداثتها لا تقلل البتة من عمق المدى التاريخي الذي نغطيه : فبعض بلدان « العالم الثالث » ، مثل الامة العربية ، او الصين او الهند ، تقرن الزخم الثوري المجدد بالتوق الى انبعاث الشخصية القومية العريقة، ذات الامجاد المتجذرة في اعماق الزمن . وبعض حضارات بلدان « العالم الثالث » كبلدان افريقيا ، كانت تفتعر في الماضي الى المدونات الكتابية ؛ الا ان ذلك لا يمنعها من التمسك بمفاخر قيمها القديمة .وتمة شعوب في « العالم الثالث » انقطع تاريخها بفعل الغزوات الاستعمارية ، كالشعب الازتيكي الذي كان يقطن المكسيك ومناطق اخرى من اميركا الوسطى ، وكشعب الانكا الذي اقام امبراطورية قوية في « البيرو » وبنى حضارة رائعة ، قبل ان تقع ضحية غزو الاوروبيين الغربيين . ان بعض الحركات التجديدية النابضة اليوم في اميركا الوسطى تنتسب الى تلك الحضارات الغابرة .

معطيات كثيرة كانت تبدو ، قبل يفظة العالم التالث ، مجرد تفاصيل فولكلورية غير ذات اهميه . او آتارا تصلح لعلم المحفوظات المتحفية ، قفزت الى مستوى التاريخ الحي في الوعي والممارسات

المعاصرة ، كما تجلى ذلك في مهرجان الجزائر الافريقي الجامع . لكن أي تاريخ ؟ هل تعتمد شعوب « العالم الثالث » التاريخ بمثابة وسيلة تبريرية لاثبات شخصيتهما الخاصة ، أو تعتمده كمنبه توقظ ملامسته قدرات كامنة في الذات الوطنية وتمد حركة التحديث بزخم يدعمها في قفزاتها التاريخية ؟

ان الوثبة ، التي تندفع بهـا شعوب الهند والوطـن العربي وغيرها ، الى بناء دينامية مجددة على اسس موارتيها الثقافية ، تبدو احد مكتسبات عصرنا الكبرى . فلقد فرضت دراسة العـالم الثالث اهميتها واصالتها على العلوم الاجتماعية ، حتـى ألزمتها بفهم ماضي العالم وحاضره فهما اكثر اتصافا ورصانة . ومن هنـا يحمل رفض شعوب « العالم الثالث » لفكرة التمحور حول المركزية الاوروبية ، كما يحمل اعلانها لحقها في التمايز ، معنى ذا دلالة خاصة ، لا سيما وان هذا الموقف التمايزي يأتي في زمن راحت فيه وسائل الاعلام الشمولية، وتسريع المباحثات السياسية والاجتماعية الدولية ، تبشر باقتراب تحقيق تقدم حقيفى ، يشمل العالم اجمع ، ويمهد لصيغة نعاون عالمي ، تلعب من خلالها ، الشعوب الناهضة الجديدة دورها التاريخي الموعود .

العالم الثالث يولد فكرة « حق التمايز »

يشعر مناضلو « العالم الثالث » حتـــى عندما يستوحون ايديولوجية شمولية ، كالماركسية مثلا ، بضرورة طـرح مبادىء نابعة من شخصية اممهم . بعضهم يعتمد العنف كوسيلة لالغاء « حقوق » واوضاع تقليدية معرقلة لانطلاقة التقدم ، وليس فقط كوسيلة تكتيكية ، وجميعهم يشددون على الجماعية بشكل يجعل منها منحى يعلو على كل المناحي الاخرى ، ويرفعون لواء المتطلبات القومية ، لا من حيث انها تلتقي مع نزعة التوحد العالمي ، بـل من

حيث تتعارض معها في بعض الاحيان . وليس ذلك الا نتيجة ردود فعل على مركبات الاستعلاء والتفرد التي لا تزال تتحكم في مواقف بعض الدول الغربية .

الواقع ان الاستعمار كان قد اوجد في بلدان العالم الثالث انماطا للسلوك وللتحليل وللتعبير يصعب التخلص منها اكثر مما يصعب التخلص من هيمنته السياسية والاقتصادية، علما ان وسائل الاعلام العالمية الكثيفة تبث نماذج ذهنية كبيرة ، سائرة هكذا باتجاه خلق نوع من التشابه العالمي . لذلك نرى المواقف الرفضية المقاومة لهذه النماذج في البلدان الرافضة للذوبان العالمي والتي اصطلح على تسميتها خطأ بالشوفينية مناقضتها اقل مما تنجح في مضمار ابراز خصائص الشخصية القومية . ولذلك ايضا نلاحظ ، اذا تأملنا الواقع الذهني ، الغالب في هذا او ذاك من بلدان العالم الثالث ، ان احياء الشخصية القومية المميزة نجح في الواقع ، بينما لم تنجح كثيرا الردات الجدلية التناقضية ، بمعنى ان امم العالم الثالث الرافضة اجمالا ، الذوبان في « العالمية » رأت نفسها مضطرة الى احياء شخصيتها القومية والتحصن بها اتقاء لخطر الضياع في المواطنية العالمية ، او تحفزا لخلق نسق جديد من المواطنية العالمية تنتفي فيه الفروقات ، التي لا تزال تتشبث بها اجمالا الدول المتقدمة ، ضمن صيغ مموهة مستحدثة .

يساهم بروز العالم الثالث ، على طريقته ، بتشديد الازمة الحاضرة التي تصيب النظرية الهيغلية الخاصة بتفسير المسيرة التاريخية ، تلك النظرية القائلة بأن العالم يتجه نحو التمثل بالنموذج المتجلي في البنيوية الاوروبية . لكن هذا التجديد الذي فرضه بروز « العالم الثالث » على سير التاريخ ليس التجديد الوحيد ، اذ قد برز معه تكذيب آخر ، اشد مضاء ، يصيب نظرية الوحدة العالمية كما يفهمها الغرب ، والقائلة بأن النموذج الاوروبي هو الذي سيسود في جميع اقطار العالم . فهل يستطيع مفكر مخلص

ان يدرس تاريخ اوروبا اليوم دون ان يأخذ بعين الاعتبار ، عندما يتصدى لفهم بعض الطبقات او الاقليات القائمة في قلب اوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة الاميركية ، تأثير فقدان الشخصية لديها ؟ هذه الحالة الاجتماعية السلبية التي سلط عليها الاضواء العالمان الاجتماعيان (أ. ميمي) و (ف. فانون) جعلت من غير الممكن اهمال او تجاهل فكرة « الذاتية » ، جغرافية كانت او اجتماعية او نفسية . لقد كان نيكروما ، احد زعماء « العالم الثالث » المعبر البليغ عن فكرة « الذاتية » ودورها في اقامة العالم الجديد ، وذلك من خلال مذهبه المسمى « الوجدانية » ؛ كما لم يعد بالامكان التغاضي عن المبادىء النظرية والعملية التي رسمها ماوتسي تونغ، ولا اهمال المسلكيات المنبثقة من الاساليب الفيفارية. واخيرا ، وليس آخرا ، خلفت تجربة عبد الناصر نماذج سياسية واجتماعية وتنظيمية تشكل مدرسة في الخلق القيادي . ولقد بلغ تأثير هذه الاسهامات الحضارية الكبيرة ، النابعة من بلدان « العالم الثالث » ، درجة جعلت ما يسمى بـ « حق التميز » مفروضا على الغرب المتقدم نفسه ، ملزما اياه بتجديد الكثير من واقفه .

من المؤكد ان التكنولوجيا هي التي تتحكم في العلاقات بين المجتمعات والطبيعة ، ولقد ادرك الغرب الصناعي هذه الحقيقة ادراكا جيدا . لهذا السبب تندرج عملية الانماء المبرمجة للبلدان التي كانت ، في الماضي القريب ، مستعمرة ، في خط تنسيق مستقبلي فيما بينها ، بغية التمكن من امتلاك اكبر قدر ممكن من التكنولوجيا . لكن علاوة على هذا المظهر التكنولوجي ، الآخذ في النمو في بلدان « العالم الثالث » ، هناك ابعاد اخرى تنبثق من الدينامية المتجددة في هذه البلدان . صحيح ان الفكر التقليدي يصنف الابعاد الفكرية الجديدة الناشئة في « العالم الثالث » في عداد « الانفعالات » او « الخيالات » او « اللعب » او حتى « الشهوانية » . لكن هذا التصنيف لا يمنع كونها تتجاوز قيم

المحافظة التقليدية التي من شأنها ، لو ظلت مستبدة في سيطرتها على الشعوب النامية ، ان تفيد إنطلاقتها باتجاه التقدم .

ان علاقات جديدة تتراءى لنا بين البعد التكنولوجي والابعاد الاخرى ، تتجسد جميعها فى المعنى الهام الذي تتجلى عنه ثورات « العالم الثالث » : ان باستطاعة غالبية اكتشافات « العالم الثالث » ان تغني البلدان الاقدم تصنيعا . ولا بد ان ينتج من هذا التبادل ، اذا أُحسِنت عملية تعميقه وتوجيهه ، حضارة عالمية شاملة . غير ان الجهد الواجب بذله من قبل بلدان « العالم الثالث » ينبغى ان يكون على مستوى الاهداف ، كما تبدو عبر تكريس « حق التمايز » في العالم ، وردم الفارق الذي يباعد بين ربع بلدان العالم وثلاثة ارباعه الاخرى . علما بأن فعل عوامل مختلفة . لا سيما العامل الديموغرافى البارز في سرعة تزايد السكان ، من شأنه ان يعمق هوة هذا الفرق بين العالم المتقدم والعالم الثالث ، ويزيد في خطورة التشابه بين امم العالم الثالث بسبب تعاستها . وبالرغم من كون تجاوز الحدود الفاصلة بين مستويات « العالم الثالث » والعالم المتقدم غير مستحيل تحققه ، (بالامس تجاوزته الصين ، وعما قريب تتجاوزه كل من المكسيك والبرازيل . . .) تبقى المسافات الفاصلة باعثة ، في غالبية الحالات ، الى التشاؤم .

واذا كان مقضيا بأن تظل الفروقات ثابتة النسب ، فاننا نصل الى عالم متقارب جغرافيا الى حد التجمع ، بفضل تطور وسائل المواصلات ، لكنه عالم غارق في فضيحة التفاوت المتزايد ؛ الغنى الصارخ من جهة ، والفقر المستشري في صفوف القسم الاكبر من الناس . وتقتضينا الصراحة القول ان القوى الرائدة في « العالم الثالث » ، بالرغم من مبادراتها المرموقة الوفيرة ، لم تحل جميع المشكلات ؛ فالسوق العالمية ما زالت ، بالرغم من جهود جميع الانظمة الموجهة ، تلعب دور « القدر المشؤوم ـ الجديد » ؛ كما ان طموح امم العالم الثالث وثقافاته الى « المشاركة في صنع العالم

الجديد » ، مع المحافظة على شخصياتها الخاصة ، لم يبدل علاقات القوى .

باختصار ، تهدد حركة العالم الحديث بتجديد يبقي حالات التفاوت على وضعها . ولا تبدو الحلول القومية البحتة في هذا المجال ، مؤهلة لانجاز تقدم حاسم . لكن الوضع يصبح مختلفا عندما ينشأ تعاون اقليمي بين بلدان متجاورة في مناطق « العالم الثالث » ، لان المصادر الماديه ، والاجهزة البشرية ، وقوى الضغوط المختلفة ، تعمل عندئذ على نطاق اوسع . وكون الاشتراكية تشكل هدفا تنشده بلدان كثيرة في « العالم الثالث » ليس امرا خاليا من الدلالة ؛ ومع ذلك فان هناك فئة من الاجتماعيين المتفائلين لا يزالون يتطلعون الى قيام تنظيم عالمي جديد ، تتوفر له عوامل من القوى والتوازنات الداخلية بين اقطابه الرئيسية ، ويؤدي في النهاية الى ردم الهوة المتعاظمة بين عالم غني متخم وعالم فقير محتاج الى مختلف اسباب المنعة والنهوض الحضاري .

ان مثل هذا التنظيم المستقبلي لن تفرضه الا تحقق الظروف الموضوعية التاريخية التي هي رهان العالم الثالث مع ذاته اولا ومقابل القوى المضادة له ثانيا .



٣

مأزق العالم الثالث :
الاستعمار الجديد



الشكل الجديد للاستعمار القديم

الكلمات تتبدل ، لكن الواقع يظل هو هو ! لقد اتخذ الاستعمار شكلا جديدا بعد ان سمن وتكرش لكثرة ما ازدرد ، بصورة مفضوحة من خيرات « العالم الثالث » ، اثناء احتلاله المباشر له . يتمثل هذا الشكل الجديد من اشكال الاستعمار باقامة علاقات استغلالية مموهة مع البلدان النامية ، علاقات غير متكافئة ، يميل فيها ميزان المنفعة لصالح البلدان المتقدمة التي كانت ، قبل منتصف القرن الحالى ، هي نفسها الفوى الاستعمارية ، علما بأن هذا النمط من العلاقات غير المتكافئة ليس وليد نظام سياسي معين ، بل انه ناجم عن المنطق الواقعي للتعامل التفاوتي بين المجتمعات الصناعية ، كائنة ما كانت ايديولوجية هذه المجتمعات ، والمجتمعات غير الصناعية .

تدل جميع الوقائع على ان الدول الصناعية ذات الامكانيات الاقتصادية الكبرى، توظف عامل قوتها لصالحها في عمليات المفاوضة عندما تتعامل مع الامم الضعيفة . ولتبيان هذه الحقيقة المؤذية بالنسبة الى « العالم الثالث » نركز ، في ما يلي ، على المظهرين الاساسيين لهذا التعامل التفاوتي : التحكم الاقتصادي ، والتحكم الثقافي .

اولا : الاستعمار الاقتصادي المموه

اذا كانت غالبية بلدان « العالم الثالث » قد اصبحت اليوم مستقلة سياسيا ، الا ان عددا قليلا منها باستطاعته تأكيد سيادته الاقتصادية . ومن نافلة القول ان المقصود بالسيادة الاقتصادية ليس الاستقلال الاقتصادي المطلق، لان مقولة الاستقلال الاقتصادي المطلق فكرة نظرية معرضة لكل انواع المآخذ النظرية . ولأنها ايضا ، تنطوي على رؤية سياسية طفولية لم يعد لها مكان في العالم الحديث ؛ اذ ان ما من بلد غدا بمقدوره ان يستقل استقلالا اقتصاديا مطلقا في ايامنا ، حتى ولو كان بلدا متقدما تقدما كبيرا . بل المقصود بعبارة الاستقلال الاقتصادي المرجو لبلدان «العالم الثالث» ، والذي يعيقه الاستعمار الاقتصادي المموه ، هو درجة الحرية في رسم السياسة الاقتصادية القومية ، ومستوى حق المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية الدولية المتعلقة بالامة .

على ضوء هـــذا المنظور النسبـــي للاستقلال الاقتصادي ، نستطيع ، ادراك كون بلدان « العالم الثالث » محكومة الآن للدول المتقدمة صناعيا وخاضعة لها خضوعا نوعيا من نمط خاص ، وذلك من خلال علاقات تختلف تمام الاختلاف عن العلاقات القائمة بـين البلدان الصناعية ، حتى وان كانت هذه الاخيرة متفاوتة المقدرة الاقتصادية فيما بينها . وتتجلى هذه السيطرة الخارجية المتحكمة ببلدان « العالم الثالث » عن اربع حالات اقتصادية اساسية :

١ ــ المحافظة على هيمنة الشركات الاجنبية على انتاج البلدان الفقيرة وتجارتها ، وتقوية هذه الهيمنة باستمرار .

٢ ــ طبيعة الانتاج الذي تتخصص فيه البلدان الفقيرة .

٣ ــ التدني المستمر الذي يصيب ميزان التبادل الاقتصادي

بين الدول النامية والدول المتقدمة ، وهو تدن يصب في خانة مصلحة الدول المتقدمة .

٤ ـ المعنى الاقتصادي الذي تنطوي عليه المساعدات الممنوحة للبلدان الففيرة من قبل الدول المتفدمة .

ثانيا : هيمنة الشركات الاجنبية

ان الجزء الاكبر من انتاج الدول النامية ، بين ايدي الشركات الاجنبية ، سواء كانت هذه الاخيرة فروعا مرتبطة بمؤسسات كبيرة ، اوروبية او اميركية ، او فروعا مستفلة للتركيبة التجارية المعقدة المسماة (الوحدة الكبيرة بين الفارات) او (الشركة الدولية) . لكن مراكز التقرير التي تخضع لها هذه المشروعات ، قائمة خارج البلد النامى حيث تعمل ؛ وسياساتها متغيرة الاتجاهات قلما تأخذ بعين الاعتبار مصلحة الامة حيث تتمركز . وهذه الشركات فالتة من قرارات السلطات القومية المحلية ، عن طريق امكانيات المناورة المتاحة لها بفعل اهميتها ، ونتيجة لامكانية الانتقال الى بلدان اخرى عندَ الحاجة .

ونضرب مثلا على ذلك عندما اممت الحكومة السوريه الشركات الكبيرة فانتقلت رساميل شركة باتا الى بلدان اخرى .

كما ان تفوق هذه الشركات التقني ، الناجم عن وجود مراكزها الرئيسية في البلدان الصناعية ، يزيد في عمق هوة الفرق التكنولوجى بينها وبين مؤسسات الصناعة الوطنية ، بدلا من ان ييسر تكوين مهارات محلية . اضافة الى ذلك تتيح لها وفرة عدد المنتوجات التي تحققها ان تحافظ ، في الاسواق المحلبة ، على قدرة كبيرة بقدر ما هي متحركة ومستترة معا .

ان خطورة السيطرة التي تمارسها هذه المشاريع متعددة الجنسية في بلدان « العالم الثالث » ناجمة عن كون المنافع المتأتية منها لصالح هذه البلدان هي اقل من المنافع التي تتأتى في البلدان الصناعية : فعلى صعيد الاستخدام ، واعادةتوزيع المردود ، ليس من المثمر اليوم ، وفي حالات عديدة ، ان تستخدم تقنيات من نمط « العمل المكثف » المعروف في مجال الانتاج الصناعي . ماذا يحدث لآلاف العمال في مصانع حلوان ، في مصر ، مثلا ، لـو اعتمدت في هذه المصانع وسائل انتاج آلية تستغني عن اليد العاملة ؟ فتحويل المداخيل الذي يجب ان يكون خاضعا لمراقبة البلاد ، يتعلق ، اجمالا، بالسياسة الشاملة التـي يدير « التروست » بموجبها فروعـه المختلفة .

ثالثا : طبيعة الانتاج المحلي

ان طبيعة الانتاجيات التي تمارسها بلدان « العالم الثالث » ، والتي تخصصت بها ، تحت تأثير حاجات بلدان الاستعمار السابق ، الى حد كبير ، تضاعف من الخضوع الاقتصادي الذي ترزح تحت عبئه بلدان « العالم الثالث » . قد يكون الاهتمام الكبير بزراعة القطن في مصر من بقايا الزمن الاستعماري حين كانت بريطانيا تحتاج الى تزويد مصانعها بهذه المادة .

ضف الى ذلك ان انتاج المواد الاولية المصدرة دون ان تتلقى اية عملية تحويل صناعية محليا ، يقوي التفسخ الاقتصادي اذ يحول دون نشوء سوق وطنية .

فالمملكة العربية السعودية مثلا ، تصدر البترول الخام بدل ان تفيد من كل مشتقاته لو اخضعته الى عمليات تصنيع اولية .

يخضع اقتصاد البلدان النامية لمفاسد الاسواق الخارجية

وللمضاربة ، من خلال عملية مبيع ومشترى منتوجاته المستوردة . اضافة الى ذلك ، ينطوي التخصص في انتاج المواد الاولية المعدة للتصدير على عاقبتين وخيمتين بالنسبة الى تطور البلاد :

ـ ان نتيجة الدربة على هذا النوع من الانتاج ضعيفة لان عمليات التنشيط لا تكون كبيرة في هذه القطاعات ، لا على صعيد اعداد العمال ولا على صعيد التقدم التقني ؛ الامر الذي يكرس الارتباط التقني بالخارج .

ـ ان تنامي الانتاجية الدي بامكانه ان ينجم عن التقدم في هذه القطاعات ، يمتصه تدني اسعار المنتوجات ، او زيادة الانتاج الذي يعاد تصديره من جديد ، الى بلد منشأ المادة الاساسية . مثلا عندما يزداد سعر البترول الخام من قبل البلد المنتج له (١٠ ٪) يرتفع سعر البلاستيك المستخرج منه فى البلدان الصناعية بنسبة (٤٠ ٪) او اكثر ، بذريعة ارتفاع كلفة المادة الاساسية .

وكما برهن على ذلك العالمان الاقتصاديان (لوفيز) و (ينيز) ، ليس بمقدور زيادة الانتاجية ، المقتصرة على قطاعات منعزلة ، والموجهة كليا ، تقريبا ، باتجاه التصدير ، ان ننعكس في شكل ارتفاع اجور عندما تظل فرص العمل الناجمة عن النظام الاقتصادي محدودة ، وعندما تظل هذه اليد العاملة تكتفي باجر يكاد لا يزيد عن الحد الادنى من الكفاف . لكن هل يوفر الانتاج المعد للتصدير مقادير من النقد النادر تتيح الاستعاضة عن خسارة الارصدة الاساسية الناتجة عن الاستيراد ، ما دامت لا تؤمن ناتجا امثل لصالح المردودات الداخلية ؟ هذا أمر مشكوك فيه ايضا ، بسبب فساد ميزان التبادل .

ثالثا : فساد ميزان التبادل

تدل تجربة الخمس وعشرين سنة الاخيرة على اتجاه اكيد نحو خلل يصيب ميزان المبادلات ، خلل يحصل على حساب البلدان النامية ، وذلك بصورة معاكسة للترجيحات التي اعطاها العالم (كولان كلارك) في نهايه الحرب العالميه الاخيرة ، والتي توقعت ارتفاع اسعار المواد الاولية التي تنتجها البلدان النامية ، ارتفاعا ناجما عن ازدياد الطلب العالمي ، وعن الندرة المتزايدة ، نسبيا ، لهذه المواد ، وعن نسبة الانتاج غير الكافية لسد حاجة الانتاجية الصناعية . ان هذا العطب في الميزان التبادلي ، مهما كانت اخطاء الاساليب الاحصائية التي تحاول قياسه بدقة ، ومهما كانت صعوبات قياس الاهمية النسبية للاسباب الداخلية والخارجية التي نسببه ، يبدو مرتبطا ارتباطا اساسيا بنتائج السيطرة الاقتصادية التي يمارسها البلدان المصنعة على بلدان « العالم الثالث » . فالبلدان المصنعة تستطيع ، بالفعل ، ان تخلق تنافسا على الاسواق بين البلدان النامية ، في حين ان هذه الاخيرة لا تقدر على خلق النسبة ذاتها من التنافس بين البلدان المصنعة (٦) .

تستطيع الدول المتقدمة في صناعة النسيج ان تخلق منافسة تناقصية بين البلدان المنتجة لمواد الغزل ، اضافة الى ان البلدان المصنعة تقلل حصة المواد الاولية من قيمة المنتوجات الكلية، وتنسب جزءا كبيرا من زيادة اسعار المنتوجات الصناعية الى ارتفاع المداخيل والى النفقات المخصصة للبحوث او لدراسة السوق المحلية ، التي تزيد ايضا السيطرة الاقتصادية التى يمارسها الدول القوية . واخيرا تلعب التماوجات الهامة جدا التي تطرأ على اسواق المواد الاولية دورا معطلا بالنسبة الى امكانيات التطور القومي ، اذ ان فترة الارتفاع تؤدي الى قرارات استيراد وتوظيفات غير مبنية على تحليل للحاجات التي يقتضيها التطور ، بل قائمة على دوافع انطلاقة مؤقتة من شأن حالة الضمور اللاحق ان يختزلها الى درجة اللاشيء . مثلا : كأن تعمد بلد مثل ايران ، في فترة ازدياد الطلب

على بترولها ، الى استيراد كميات من الادوات الاستهلاكية لا تفتأ في فترة لاحقة ، أي عند تعثر تسويق البترول ، ان تصبح لا قيمة اقتصادية فاعلة لها .

يشكل هذا التناوب المتناقض المتوالي في فترات زمنية متقاربة عائقا بوجه كل سياسة انمائية متناسقة . لذلك ، فاذا كانت سياسات تثبيت حركة سوق المواد الاولية غير مقترنة باستراتيجية انماء منسقة بين البلدان المصدرة ، فانها لا تستطيع تحقيق اهدافها المعلنة ؛ وبدلا من ان تؤول الى سياسة دعم تطويري ، تؤدي الى ترسيخ وضع ينطوي على الاذى في البلدان النامية ، من خلال توفير منافع مرئية صغيرة ، لأمد قصير ، لا يعنى ما تقدم ، ان البحث عن سعر ثابت على الصعيد الدولي امر غير مرغوب فيه ، ولا ان النضال من اجل رفع اسعار بعض المنتوجات الاستراتيجية ، كالبترول مثلا ، عمل سدى . على العكس من ذلك ، تخطىء البلدان الفقيرة الخطأ كله اذا كانت لا تستعمل جميع الوسائل المتاحة لها للحصول ، بأسرع ما يمكن ، على الثروات ؛ وبمعنى اكثر دقة ، على مصادر كافية من النقد النادر . الا ان الحصول على النقد النادر لن يسمح لها بتجاوز حالة ركودها ، الا اذا كان النجاح القصير الامد هو قاعدة الاكتمال الطويل الامد ، أي اذا كانت نتائج الاتساع تتيح التحولات البنيوية الاساسية بالنسبة الى مسار الانماء ، ولا تكون ، على العكس من ذلك ، وسيلة تجميد البنيات غير المنسجمة مع معطيات العصر . لن يمكن الكلام على العون الاقتصادي الحقيقي ، الا عندما تتيح الاتفاقيات حول اسعار المواد الاولية عمليات تحويل الانتاجات وتنويعها في البلدان المصدرة ؛ كأن يجتهد البلد النامي ان يخلق انتاجات جديدة الى جانب انتاجه التقليدي الرئيسي ، وان يبني تقنيات تمكنه من تحقيق تصنيع تمهيدي لمنتوجاته ، مثل تصدير القطن مغزولا بدل تصديره محلوجا فقط ؛ وتصدير القمح دقيقا بدل تصديره حبوبا .

رابعا : معنى المساعدة الاقتصادية

ينبغي تصويب معنى فكرةالمساعدة الاقتصادية الى حد كبير . وكما كان يقول احد اختصاصيي الموضوع (بورون) ، وهـو ينظر الى الاهتمام غير المعلن الذي تبديه البلدان المصنعة في سياق علاقاتها مع « العالم الثالث » : « من الامور الغريبة الاصرار على ان نسمي مساعدة ، في المناطق المدارية ، الشيء نفسه الذي يسمى توظيفا مثمرا في المناطق المعتدلة . ان معاني الكلمات تتبدل تبعـا لتبدل المناطق »

يندرج تحت عبارة « مساعدة الدول النامية » بشكل عام ، تزويد هذه البلدان بمختلف انواع المعونات ، مثل التوظيفات المالية والفروض والمنـح مـن خاصة ورسمية ؛ الا ان الكثير مـن هـذه المساعدات لا يمكنها ، بأية حال من الاحوال ، ان تدعي صفة النزاهة والتجرد ، هذه الصفة التي يفترض بفكرة « المساعدة » ان تتصف بها . فغالبية المساعدات الممنوحة ، حاليا ، الى بلدان « العـالم الثالث » هي مساعدات مشروطة ، تلتزم بموجبها البلدان التي تحصل عليها ان تلبي « طلبيات » خاصة بالدول المصنعة ، مانحة المساعدة .

من ناحية اخرى ، في غالبية الحالات ، باستطاعة المساعدات ان تحدث تأثيرا مناقضا تماما لمبدأ المساعدة ذاته ؛ انها تقوم بثلاث وظائف ، على الاقل ، من شأنها ان تزيد من خطورة ارتباط بلدان « العالم الثالث » بالبلدان المصنعة :

١ ــ من شأن المساعدات ان تثبت الاستقلال السياسي . وهي تشجع وتساند الجماعات السياسية والشركات المدعومة من البلدان المانحة ، حيث ان المساعدات غالبا ما تعطى للدولة . وليس قبول المساعدة لدى الدولة الغنية عملا مشبوها بحد ذاته . لكن ليس مـن

غير المعقول ايضا ان تمنح هذه المساعدات ، في بعض الحالات ، بمثابة مناورة تتيح مساندة الحكومات الطيعة سياسيا ، والمتعاونة اقتصاديا ، ودعمها .

٢ ـ تسهل المساعدات عملية تحويل العملة الصعبة الذي تنطوي عليه عملية ارجاع ارباح الشركات الاجنبية القائمة في بلدان « العالم الثالث » الى وطنها الام . ذلك ان احتياطي البلدان النامية اضعف من ان يكفي لتوظيف ارباح الشركات الاجنبية الكبيرة . ففي الواقع ، ليست المساعدات المالية سوى وسيلة لاجراء هذا التحويل دون ان يتضعضع النظام المالي والاقتصادي القائم في الدول مانحة المساعدات . بهذا المعنى ، ليست الهبة سوى وسيلة الحصول على ارباح اكثر وفرة .

٣ ـ من شأن المساعدة ان تؤدي احيانا ، الى تكليف اشخاص من ذوي الكفاءات غير الاكيدة بمسؤوليات استراتيجية . وهكذا تتحاشى البلدان الفنية البطالة الداخلية والتذمر الخطر ذا النتائج السياسية المفزعة ، لا سيما اذا صدرت البطالة والتذمر عن كوادر غير مؤهلة ، مفتقرة الى الاختصاصات الدقيقة . لهذا السبب بالذات ، نرى المساعدات الاقتصادية تفسد ، تقريبا ، الوضع في البلدان النامية ، وتزيد من خطورته ، اذ تعمل على تيئيس الجهود الداخلية الهادفة الى التجديد الحقيقي ، وتخدم مصلحة المستفيدين من الوضع القائم ، ومن ازدياد تقهقره بالدرجة الاولى .

الاستعمار الثقافي

الشكل الثاني للاستعمار الجديد هو الشكل الذي تتلبسه كثير من « اعمال المحبة » ، و « البذل في سبيل البشرية » ، و « الاخوة الثورية » ، التي تدعي انها تساعد في التحرر من

الاستعمار الجديد ذي الوجه الاقتصادي . الا تستخدم ، احيانا ، هذه المساعدات كوسائل لتقوية مركز هذا الاستعمار ؟ هذه هي حال بعض « اعمال الرحمة » التي تساعد في تحمل عبء العبودية ، وبذات الفعل تجعلها مؤبدة : انها تعيق القدرات الخلاقة الكامنة في المجتمعات الناهدة الى التطور ، وذلك باحاطه المساعدات الصغيرة التي تقدمها بالكثير من الدعاية ، اذ تفرض على هذا التطور نمطا من المحاكاة البليدة . يتجلى هذا الشكل الجديد من الاستعمار ، حاليا ، بثلاثة مظاهر اساسية :

أ : شكل الامبريالية العقائدية .

ب : شكل النظام التربوي .

ج : شكل التعسف النفسي .

اولا : الاستعمار العقائدي

يؤلف الاستعمار العقائدي الشكل الحديث للانوية ؛ اي ان الدول التي تعمد الى الفتوحات العقائدية تجعل من ذاتها مركزا محوريا بالنسبة الى الامم الممكن ادخالها في امبراطوريتها العقائدية . وهذا الاسلوب تتبعه الدول الغربية، وغير الدول الغربية في عصرنا. فالبلدان المصنعة ، بعد ان ظنت نفسها قد ملكت « الحقيقة الرسالية » ، ثم « النتائج العملية » لانماط النمو الحتمية ، بدأت تبذل جهودها لتصدير « التجربة » التي ابعتها من خلال مراحل نموها . لكن العقيدة ، سواء جاءت من الشرق او من الغرب ، ترفض كل محاولة تجديد مبتكر ، معتبرة اياها غير مجدية . فأنصار العقيدة الليبيرالية يرون في مختلف « اشتراكيات » « العالم الثالث » تنازلات تراعي الحساسيات القومية ، وتنطوي هكذا ، على تضحيات كبيرة . اما الماركسيون الاقحاح ، فينعون على هذه المحاولات كونها

مناورات تهدف الى تمويه الاستعمار الجديد ، متيحة للرجعية ان تبعد الحل الحقيقي الاوحد ، أي الحل الماركسي .

لهذه الاسباب يضطر المفكرون والسياسيون في « العالم الثالث » الى اتباع احدى العقائد الجاهزة ، النابعة من خارج بلدانهم ، والتي تحول دون الابتكار الفومي الحقيقي الذي من شأنه ان يحيط ، احاطة افضل ، بالحاجات المحلية .

تؤلف هذه الطريقه في طرح المشاكل ، وفرض اسلوب معين على الحياة السياسية ونهج خاص على التفكير ، اسوأ اشكال الاستعمار : فالاستعمار التجاري التفليدي كان يقتطع قسما من خيرات البلدان الفقيرة ؛ اما الاستعمار العقائدي الحالي فمن شأنه ان يلغي الذات الحية في شعوب بلدان « العالم الثالث » . فلا شك بأن المهم ليس التوقف عند مقولة « المميزات الكينونية » ، ونسيان انه ينبغي تأمين حد ادنى من القوت ، والوعي للشعوب ، كي تختار طريقها ؛ بل المقصود في تحذيرنا من مغبة الاستعمار العقائدي ، هو معرفة ان الوقوع في هذا الشرك ، يعني الافلات من مأزق للوقوع في مأزق آخر معاكس . ذلك ان التمادي في الاهمال الذي حصل في الماضي بالنسبة الى المتطلبات الاقتصادية والسياسية الواقعية ، في « العالم الثالث » أدى الى موقف معاكس يعتبر ان التقنية التي تكون قد نجحت في بعض الدول ، وزادت من قدرة حكوماتها على ترويض بيئة البلاد ، هي هدف بحد ذاتها ، بغض النظر عن التضحيات التي تستوجبها ، وبغض النظر عما اذا كانت المناهج العقائدية المستوردة ، ملائمة لثوابت البنية القومية المطلوب تطويرها . او غير ملائمة ، فانه يشكل اتباعها احد اخطر معوقات التقدم في بلدان « العالم الثالث » ، لانه يخضع الامة ، ذات اليقظة الفتية ، والمتطلعة الى الانعتاق من رواسب القيود الخارجية الماضية ، الى (تقيدية) جديدة آتية من خارج الحدود . حتى ، وان قبلنا الفكرة القائلة بأن التقدم ، مهما كان ثمنه ، فهو الهدف الاول

الذي ينبغي على كل شعب من شعوب « العالم الثالث » ان يضعه نصب عينيه ، تظل هذه السيطرة العقائدية عائقا له ، بدل ان تكون عونا . ذلك انه لا ينبغي الخلط بين التقنيات والنواميس الاقتصادية العالمية ، وبين الاوضاع النفسية ـ الاجتماعية التي يحق لها ، طبيعيا ، ان تكيف التقنيـــات ، بمقتضى القرائــن الاجتمــاعية والتاريخية . ولئن كان بامكان التقنيات ان تتوزع في مختلف ارجاء العالم . الا ان اكتشـاف ثوابت البنيات القومية يظل وقفا علــى مسؤولين محليين متجذرين تجذرا اصيلا في ثقافة امتهم .

فلا بد ان يكون البحث عن القيم ، التي باستطاعتها ان تبعث النمو في بلد من بلدان « العالم الثالث » ، دائما مستقلا ومبتكرا . فتجارب التطوير التي نجحت في العالم تقدم براهين وفيرة على هذه الحقيقة . وبالرغم مــن كون العقائديين مــن ذوي النزعة العالمية يحاولون تمويه هذه الحقيقة المزعجة بالنسبة لهم ، فاننا نرى جميع حركات التطوير المعروفة تاريخيا وحاليا ، من المذهب الطهري الذي ساعد انكلترا على تجديد بنياتها السياسية في القرنين السادس عشر والسابع عشر . الى (السانسيمونية) هذه الطريقة شبه الاشتراكية التي ساعدت في نجاح الادارات الاقتصادية الفرنسية خلال اواسط الفرنالتاسع عشر ، الى الاستبدادية النيرة ، الى المايجي ، التى اسست العصر الجديد في اليابان منذ سنة (١٨٦٨) واعتمدت الحكم النخبوي الثقافي وهيأت في ظل ملكية موتسو ـ هيتو ، النهضة اليابانية الحديثــة .. الــــى اللينينية ، الــــى الماوتسية ، الى الكاسترويـة ... فان جميع هذه المناهج والعقائد انمــا كشفت عن كونها ابتكارات متنوعة وفعالة ، لانها متميزة عن النماذج السابقة لها ، ولان كل واحدة منها تكيفت بما يلائم الوضع التاريخي وثوابت البنية القومية للامة التــي استخدمتها . اما التقليد الاعمى فعقيم دائما .

المطلوب ، اذن ، ان تفسح امام كل امة مــن امــم « العالم الثـــالث » فرصة التطور الخـــلاق . وليتذكر المتعصبون لعقـــائد

مستوردة ان الطريقة اللينينية ، مثلا ، كانت تبدو نموذجا اقتصاديا غير معقول ومستحيل التنفيذ ، بنظر كبار العقائديين حوالي عام (١٩٢٥) ، وذلك لأن هذه الطريقة ركزت على ضرورة التلاؤم مع معطيات الواقع ، في حين اسست بنية الاتحاد السوفييتي نفسه .

ثانيا : النظام التربوي

يتجلى الاستعمار الجديد ايضا في كون الكثير من انظمة التعليم المتبعة في بلدان العالم الثالث غير ملائمة. فسواء كان النظام التربوي موروثا عن الانظمة التربوية الاجنبية ، او حصيلة ابتكار حديث ، نراه في غالبية بلدان « العالم الثالث » يعاني من تشويهات ثلاثة :

١ ـ تهدف هذه الانظمة ، على صعيد التعليم العالي ، الى تخريج اختصاصيين من ذوي المستويات الرفيعة . صحيح ان غاية كهذه ليست سيئة بحد ذاتها ، لكنها قدتكون غير مناسبة في بلدان يستحيل تشغيل اختصاصيين فيها من هذا النوع ، قبل مرور سنوات عديدة . فاذا كان هؤلاء الاختصاصيون معدون لتسلم الوظائف في الاجهزة الادارية ، او في المراكز السياسية ، فربما يكون من الافضل تنشئتهم حسب هذا الاتجاه ، منذ البداية . الا ان الانظمة التربوية الموروثة ، والتي لا تزال تمول من الخارج جزئيا ، تشكل الوسيلة العصرية للهيمنة على الثروة الجديدة في بلدان « العالم الثالث » ، أي المهارات ، هذه البضاعة الثمينة التي يسرقها العالم المتقدم تحت ستار « هجرة الادمغة » .

٢ ـ والعلاجات التي تستعمل تكون احيانا اسوأ من المرض نفسه . اذ عندما يتبين ان التعليم العالي غير مؤات ، يتجه موجهو التربية في بلدان « العالم الثالث » ، غالبا ، نحو المعاهد التقنية

فقط . فتكون النتيجة ان هذه اليد العاملة الاختصاصية تجد ، كأفضل فرصة لها فى الظروف الحاليه ، ان تشتغل لدى الشركات الاجنبية المزروعة في البلاد . لهذا السبب يصبح من الصعب ان نطلب من هؤلاء الشبان المتخصصين ان يعيدوا التفكير في سياسة وطنهم الاقتصادية . يضاف الى ذلك ان تخصيصهم يفقدهم حركيتهم ، أي امكانية التكيف مع تبدل البنيات اللازم للنمو ، كما يفقدهم مقدرتهم على معارضة النظام بصورة فعالة . هنا ايضا نجد نطرفين متعاكسين يكمل واحدهما الآخر ، وكلاهما يساعد على الاستمرار للوضع القائم .

٣ ــ اخيرا نرى عمليات تهيئة فرص العمل ، التي اصبحت معتمدة من اجل توجيه اصلاحات مناهج التعليم في العديد من بلدان « العالم الثالث » تستند غالبا الى الشواغر المتوقعة انطلاقا من الوضع القائم حاليا . لكن اذا اعتمدت حاجات العمل المتاحة في الاطار الاقتصادي الحالي فحسب ، تكون النتيجة التخلي عن تبديل البنيات ، علما بأن تبديل البنيات من شأنه ان يخلق فرص عمل جديدة . وبهذه الطريقة تصبح بنيات الماضي ، وهي من مخلفات السيطرة الاستعمارية في بلدان « العالم الثالث » ، اكثر متانة وجمودا ، فتشكل عائقا في وجه التغيير . في حين ينبغي انتهاج اسلوب تربوي يهيء مهارات ، ويبني خلقيات ، ويؤول ، بالتالي ، الى جهود تجديد خلاقة وفعالة .

ثالثا : السيطرة السيكولوجية

ادق شكل من اشكال الاستعمار الجديد هو الذي يتبدى بصورة نوع من « الاعمال الانسانية » ــ المربحة ــ ذات المضار النفسية الجلية . فلقد اصبحت تصرفات المستغلين الاستعماريين القدماء الآن مستنكرة ، لدرجة ان ما من انسان سليم التفكير يرضى بأن يقتدي بها . لكن تصرف بعض « المعاونين الثقافيين » غالبا ما

يكون اكثر ضررا بالنسبة الى مصالح البلاد ، لانه توجيهي . ففي اكثر الاحيان ، لا يريد الناس الاعتراف بأن الاجر يكون شرعيا اذا ما تناسب مع نشاط مفيد للجماعة ؛ وانه ينبغي عليه ان يخضع لعملية حسابية واضحة ، ودقيقه ، بالنسبة الى مردودية الخدمة المؤداة ؛ والا يحصل الاستغلال الخبيث دون مقاومة فعالة . لا شك ان الناس تقبل الفاعلية الضعيفة لدى من يعمل دون ربح مادي ، محبة بالآخرين . خاصة وان ساعة (العمل ــ الهبة) لا ينبغي ان تخضع للقواعد نفسها التي تخضع لها ساعة عمل الاختصاصي . لكن المشكلة هي ان العديد من « المعاونين الثقافيين » يلعبون على الصعيدين ، دون حشمة كبيرة . ليتهم يتخلون عن التبرير السهل الذي يعتمد على نواياهم الطيبة ، ويقبلون باجراء جردة عامة بالفوائد التى تنتج عن اعمالهم .

اضافة الى ذلك يفكر عدد من « المعاونين الثقافيين » الوافدين، او الموفدين ، الى « العالم الثالث » ، انهم بانتقادهم مختلف « اشكال التعسف » والاخطاء والفضائح التي يرتطمون بها في هذه البلدان ، انما يتنصلون ، مبررين فاعليتهم الضعيفة ، بواسطة الشروط السيئة الفائمة ، والتي يعملون في ظلها ، من تحمل اية مسؤولية . انهم ينسفون الامل ، ويصبحون في النهاية اخطر اعوان الاستعمار الجديد ، اذ انهم يخلقون انطباعا لدى اصحاب النوايا الحسنة انفسهم ، بأن التطور مهمة مستحيلة وانه حتى بالنسبة الى الذين لا يتبعون مصلحتهم الانانية ، يظل تفدم « العالم الثالث » حلما غير ممكن التحقيق .

ان وجود هذا النوع من « المعاونين الثقافيين » يشجعه ، في بلدان « العالم الثالث » ، تفشي نزعة اللفظية ذات الفعل التسكيني قصير الامد ، هذا الفعل الذي يؤول الى تحذير محرومي العصر الحاضر ؛ وفي بعض الحالات الاخرى ، تشجعه ادارة هجينة موروثة جزئيا عن العهد الاستعماري ، ادارة تعتبر الميوعة ليونة ، والتمسك بالشكليات حزما ، وترضى بجميع اشكال التعسف شرط ان يأتي هذا التعسف بصيغة نظامية .



خاتمة

يدل تفحص مختلف اشكال الاستعمار الجديد على انبعاث غالبية انماط السيطرة الاستعمارية الراحلة بأشكال جديدة مموهة. لهذا ليس ثمة سوى النقد الجذري سبيلا لعلاج هذه الحالة ؛ اذ ان المشكلات لا يمكن حلها الا متى اصبحت معروفة جيدا ، ومطروحة طرحا صحيحا . ومنذ بضع سنوات افتضحت المظاهر الاقتصادية والسياسية بحزم ، وغدت معروفة جيدا . لكن من المهم التشديد ايضا على الاستعمار الجديد « الثقافي » الذي يميز ، ليس العلاقات بين الانظمة فحسب ، بل ايضا العلاقات بين الحضارات . لذلك اصبح من الضروري، لمكافحة الاستعمار الجديد ، توجيه السلوكيات الانسانية الاساسية ، وهي وحدها ، تؤلف وسائل التغيير المرجو حقا .

ولذلك تتطلع معظم النخب المتنورة لدى شعوب العالم الثالث الى تغيير ظروف العلاقات السياسية داخل البنى الاجتماعية ، من اجل تحقق مزيد من حرية الراي والنقد والكشف الموضوعي ، حتى تتضح مختلف التحريفات التي ترافق تطور المجتمع . وهي التحريفات التي تساعد باستمرار عودة اشكال متطورة من فرض التبعية وافساد حركة النمو ، التي اصبحت سمة اساسية لسلوكيات الاستعمار الجديد .

ملحـــق

مؤتمرات « عدم الانحياز » والدور العربي



الوطن العربي في العالم الثالث

هل كان للعرب دور في مؤتمرات العالم الثالث ؟ اذا كان الجواب بالايجاب فأي دور لعبه الوطن العربي في تلك المؤتمرات ؟ ومَن مِن القادة العرب قام بلعب ذلك الدور ؟ وهل استطاع العرب ان يساهموا في صنع تلك المؤتمرات ، اضافة الى مشاركتهم فيها ؟ وأي زعيم عربي تمكن عبر مؤتمرات العالم الثالث ان يصبح زعيما من زعماء العالم التالث ؟

وهذا السؤال الاساسي : ما هي المكاسب التي حققها الوطن العربي من خلال اشتراكه في مجموعة العالم الثالث ودوره في المؤتمرات العديدة التي عقدت باسم العالم الثالث ؟

للاجابة على هذه الاسئلة وغيرها لا بد من العودة الى تلك المؤتمرات والتوقف امام دور الزعماء العرب والدور الذي لعبوه فيها ؟



منطلق عدم الانحياز

مؤتمر باندونغ

اول مؤتمر لرؤساء الدول والحكومات الافرو ــ آسيوية انعقد في باندونغ ، في (١٨) الى (٢٤) نيسان ــ ابريل ــ سنة (١٩٥٥) . لقد كان هذا اللقاء الاول ، الذي نظر اليه الغربيون ، في البدء ، بعين الحذر ، والذي حياه القادة القوميون الوطنيون لافريقيا وآسيا بحماس ، حدثا ذا اهمية كبرى ، لانه ، كما قال ليوبولد سنغور ، الحدث الذي ولد فيه « موت عقدة النفص لدى الشعوب المستضعفة » . حتى ولو كانت الآمال التي مدته بعنصر الزخم ، والاحلام التي لفمته بعوامل الضعف ، قد تبددت ؛ وحتى لو كان مثال اللاعنف الغاندي الذي ظن نهرو، لبعض الوقت، ان باستطاعته تغليبه في العلاقات الدولية ، قد تحطم في اصطدامه مع المصالح الخاصة للعديدين من اعضاء المؤتمر ورواده ، وحتى لو كانت الهند نفسها اضطرت للتخلي عن مبادئها بالذات ، نستطيع القول ان مؤتمر باندونغ يبقى رمزا ، بل عقيدة ، بالنسبة للشعوب الناهضة من ليل الاستعمار والتخلف ، ومأملا ، بالقدر الذي تحدد فيه مثال التعاون والسلام والتقدم المشترك ، لا بين بلدان « العالم الثالث » فحسب ، بل ايضا بين جميع شعوب العالم .

الاعداد للمؤتمر

تختلط جذور مؤتمر باندونغ بجذور الحركة الافرو ــ آسيويه التي جاء المؤتمر المذكور بمثابة علامة الازمنة بالنسبة اليها . يبدو ان الفكرة طرحت ، لاول مرة ، في كولومبو ، في نيسان ــ ابريل ــ من عام (١٩٥٤) ، بين رؤساء حكومات الهند والباكستان واندونيسيا وبورما وسيلان . الا ان موعد المؤتمر واهدافه اتفق عليها بين كبار مؤتمر كولومبو الخمسة ، وذلك في الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من شهر كانون الاول ــ ديسمبر ــ سنة (١٩٥٤)، لدى لقائهم في بوغور ، في اندونيسيا ، بناء على اقتراح من احمد سوكارنو، لا سيما وان الموضوع اصبح ممكن التحقيق اذ انضم اليه نهرو .

في الجلسة الاولى للمؤتمر التي عقدت في (١٨) نيسان ــ ابريل ــ (١٩٥٥) نبنى مؤتمر باندونغ الافريقي ــ الاسيوي رسميا قضايا فلسطين وتونس والمغرب. ففد وافق رؤساء الوفود على طلب الحكومة المصرية الذي قدمته في آذار ــ مارس (١٩٥٥) بادراج مسألة فلسطين ومسألة البلاد غير المتمتعة بالحكم الذاتي في شمال افريقيا ، ومسألة حرية افريقيا ، ومسألة التمييز العنصري ، ومسألة الاشراف على التسلح ، في جدول اعمال المؤتمر تحت البند الرابع وهو الخاص « بحقوق الانسان وتقرير المصير » .

وكانت الجلسة سرية ، وعقدت في منزل الرئيس الاندونيسي (احمد سوكارنو) وقد حضرها من القادة العرب الرئيس جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزي وعلي صبري والدكتور فاضل الجمالي ووليد صلاح . وتحدث الرئيس عبد الناصر فطلب ادراج مسألة فلسطين في جدول اعمال المؤتمر ، كما طلب السيد وليد صلاح في المؤتمر ان يدعو الى تطبيق قرارات الامم المتحدة الصادرة في تشرين الثاني ــ نوفمبر (١٩٤٧) بشأن تقسيم فلسطين ، وقرارات الامم المتحدة الصادرة في كانون الثاني ــ ديسمبر (١٩٤٨) بشأن

اللاجئين . وأيد الدكتور الجمالي اقتراحي مصر والاردن . (١)

في الجلسة الثانية التي بدات في الساعة التاسعة والدقيقة الرابعة من صباح الاربعاء (٢٠) نيسان-ابريل - هاجم وزير خارجية الاردن وليد صلاح بعنف ، سياسة اسرائيل العدوانية التي تشكل « خطرا حقفيا على السلام العالمي ، واهانة لحرية الشعوب في تقرير مصيرها » . وقال وزير خارجية الاردن : « لقد لجأنا الى الامم المتحدة عبثا . وانني اليوم اطلب انصاف بلادي . ولولا الضغط لكانت الاردن اليوم عضوا في أسرة دينية وقومية كبيرة . واننا ما زلنا مالكي ارض اسرائيل الشرعيين » . وقد حمل السيد صلاح بريطانيا والولايات المتحدة ويهود العالم قاطبة ، مسؤولية التوتر في الشرق الاوسط . ثم أسف الا تكون شعوب افريقيا الشمالية الخاضعة لنير الاستعمار ممثلة رسميا في المؤتمر .

وكان المندوبان العراقي والمصري قد حملا حملة قوية على اسرائيل وعلى مساندة الدول الغربية لها ، كما اعربا عن يأس العرب من انصاف الامم المتحدة لقضيتهم المشتركة . اما لهجة المندوب اللبناني الرئيس سامي الصلح فكانت معتدلة كالعادة . فقد ذكر بالاخطار الثلاثة التي تهدد العالم وهي : التعصب، والوطنية الضيقة وكره الاجنبي ... ثم قال : « اننا نتوصل بالتسامح الى حل القضايا العصيبة وبهذا التسامح نوجد جوا ملائما » (٢) .

في (٢١) نيسان -ابريل - نشرت الصحف العربية ما جاء في الوكالات من مؤتمر باندونغ انه تم تأليف شبه محور بين مصر والهند والصين الشعبية وبورما ، بعد اجتماع دام اربع ساعات ، بين جمال عبد الناصر ونهرو وشوانلاي ونو ، الذين اعلنوا ان اجتماعهم كان لتوحيد وجهات النظر ، وانهم سيكثرون من هذه الاجتماعات الخاصة .

وعلم ان اجتماع الاربعة الكبار في باندونغ بحث قضية فلسطين

وقضايا شمالي افريقيا والحالة في اليمن . وفي الوقت نفسه أعلن راديو القاهرة ان الرئيس عبد الناصر وشو ان لاي سيزوران اندونيسيا بعد انتهاء مؤتمر باندونغ ، بينما يزور الشيخ الباقوري وزير الاوقاف المصرية ، الصين الشعبية بدعوة رسمية منها (٣) .

في اليوم الرابع لمؤتمر باندونغ قفزت القضايا العربية الى مركز الصدارة في مقررات المؤتمرين . فقد قرر المؤتمر وبسرعة كبرى ، القضايا التالية :

١ ــ مساندة القضية العربية في فلسطين .

٢ ــ مساندة اندونيسيا في المناقشة المتعلقة بايريان الغربية (غينيا الجديدة الهولندية) .

٣ ــ المطالبة بحق شعوب تونس والجزائر والمغرب في نيل استقلالها وحكم ذاتها بذاتها :

٤ ــ اقرار مبادىء حكم الشعوب لذاتها ، وفقا لما ورد في مبادىء هيئة الامم المتحدة .

٥ ــ الاستماع في جلسة سرية الى رئيس الحكومة السيلانية جون كوتيلاوالا في مهاجمته للاستعمار في شرق اوروبا .

وقد اتخذت هذه القرارات في الاجتماع الذي عقدته الوفود التسعة والعشرون حيث جاء في قرار تأييد المسألة الفلسطينية انه « بالنظر للتوتر الحالي في الشرق الاوسط الناتج عن الحالة في فلسطين ، والمخاطر التى يتعرض لها السلام العالمي بسبب هذه القضية ، يطلب المؤتمر تنفيذ مقررات هيئة الامم المتحدة بشأن فلسطين وايجاد حل سلمي للقضية الفلسطينية » .

اما مفتي فلسطين الاكبر الحاج امين الحسيني فقد وصل الى باندونغ ، ولكنه لم يتكلم في المؤتمر ، لان الكلام مباح لرؤساء

الوفود في الجلسات الخاصة ، ولكنه ابدى ارتياحه الـــى القرار المتعلق بفلسطين .

وبشأن شمالي افريقيا ، فقد اقر رؤساء الوفود بعد مناقشات حامية ، الحل الذي قدمته مصر وهذا نصه : « نظرا للحالة غير المستقرة في افريقيا الشمالية ، وللرفض العنيد في اعطاء شعوب افريقيا الشمالية حقهـــا في ادارة شؤونها بنفسها ، فان المؤتمر الاسيوي ــ الافريقي يعلن مساندته لحق الشعب الجزائري والشعب التونسي والشعب المغربي في العمل للوصول للحكم الذاتي ونيـل الاستقلال الناجز بالجملة التالية : « يعلن حق شعوب الجزائر وتونس والمغرب في انتزاع سيادته انتزاعا » (٤) .

واخيرا صدرت المقررات النهائية للمؤتمر . ولا بد هنا من التوقف عند بعض تلك المقررات ، وعند نجم اعضاء المؤتمر العرب الرئيس عبد الناصر الذي لعب دورا رئيسيا في اقناع المؤتمرين بتبني المقررات المتعلقة بالوطن العربي .

خطب الرئيس عبد الناصر في المؤتمر فأعلن ان التعاون بـين اعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية يعتبر نقطة تحول نحو تحسين الموقف الدولي ، ووضع لهذا التعاون مبداين جوهريين هما احترام الاستقلال السياسي لكل دولة ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لها .

وندد الرئيس العربي بالاستعمار واعلن ان بقاءه لا يتفق مـع العهد الجديد في العالم . فهو تجاهل للتقدم الانساني ومقاومة لقوانين التطور ، كما انه احد اسباب القلق الذي يسود العالم في عصرنا الحالي .

واستعرض الرئيس جمال عبد الناصر حالة التوتر السائدة

في العالم اليوم ، وبين اسبابها ، ثم عدد شروطا خمسة لتحقيق السلم العالمي :

الشرط الاول من هذه الشروط هو تنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسلح ، والقضاء على الاسلحة ذات التدمير الشامل ، وتحويل النفقات التي تنفق على التسلح لرفع مستوى معيشة الشعوب .

والشرط الثاني ان تصدر الامم المتحدة قراراتها على اساس ميثاقها . وقال انه لو راعت الهيئة هذا الشرط لما وقع الظلم بشعب فلسطين الذي عبر عنه بقوله « هذا الخرق الوحشي الاثيم للمبادىء الانسانية » .

والشرط الثالث لقيام السلم العالمي هو احترام الدول لالتزاماتها الدولية بمقتضى ميثاق الامم المتحدة واعلان حقوق الانسان بالقضاء على التفرقة العنصرية التي تعتبر اخلالا بهذه الالتزامات واخلالا بالعلاقات الودية بين الدول .

والشرط الرابع هو وقف الاعيب الضغط السياسي التي تستخدمها الدول الكبيرة على الدول الصغيرة كأداة لتحقيق اغراضها .. وقد طالب الرئيس بوقف هذه الالاعيب في الحال اذا اردنا ان نضع حدا للتوتر الدولي .

اما الشرط الخامس والاخير فهو تصفية الاستعمار .. وقال ان بقاءه في شمال افريقيا لا يتفق مع سياسة السلم والتعاون بين الشعوب .

واعلن الرئيس عبد الناصر في خطابه التاريخي ان مصر تقف الآن وقفة المدافع عن الحرية والرفاهية للشعوب ، وتؤيد مبدأ تقرير المصير لكافة الشعوب ، كما اعلن تأييد مصر للامم المتحدة كمنظمة

دولية فعالة لصيانة الامن والسلام ، رغم انها لم تقم بما يطابق حقوق الانسان لدول شمالي افريقيا و فلسطين (٥) .

وكان الرئيس عبد الناصر قد طالب بادراج مشكلة فلسطين في جدول اعمال المؤتمر الاسيوي ـ الافريقي ، وقال انها مختلفة تماما عن المسائل المتعلقة بالاستعمار التي اقترح البنديت نهرو أن تدرج ضمنها ، واستند الرئيس في ذلك الى قرارات الامم المتحدة ، مؤكدا ان اسرائيل خطر على مصر .

ومن اجل فلسطين وسائر المسائل العربية دعا الرئيس جمال عبد الناصر رؤساء الوفود العربية الى مأدبة عشاء وتباحث معهم بشأن وقوف الوفود العربية موقفا موحدا في جلسة الافتتاح (٦) .

برنامج تحقيق السلام

وفي الجلسة الختامية لمؤتمر باندونغ وافق المؤتمرون على برنامج لتحقيق السلام في العالم ويتألف هذا البرنامج من النقاط العشر التالية :

١ ـ احترام حقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة .

٢ ـ احترام سيادة جميع الدول ووحدتها .

٣ ـ الاعتراف بحق المساواة بين جميع الاجناس والقوميات .

٤ ـ عدم التدخل في شؤون الدول الاخرى .

٥ ـ حق كل دولة في الدفاع عن نفسها بمفردها او بالاشتراك مع غيرها .

٦ ـ الامتناع عن استخدام ايـــة تدابير او اتفاقات دفاعية جماعية لصالح اية دولة مـــن الدول الكبرى ، والامتناع عن الضغط على الدول الاخرى .

٧ ـ الامتناع عن اعمال التهديد او العدوان او استخدام القوة ضد اية دولة .

٨ ـ تسوية كل المنازعات الدولية بالطرق السلمية .

٩ ـ تنمية المصالح المتبادلة وزيادة التعاون .

١٠ ـ احترام العدالة والالتزامات الدولية .

وخلال فترة الدقائق الخمس التي اعطيت لمن يريد الكلام في هذه الجلسة الختامية ، القى الرئيس عبد الناصر خطابا ضمنه رأيه في المؤتمر وشكره للدول الداعية اليه والدولة المضيفة وهذا نصه :

« ان مؤتمرنا يقترب من نهايته بعد مداولات ودية مثمـرة استغرقت ثمانية ايام ، وقد سبق هذه الايام الثمانية استعدادات واسعة النطاق وجهود بذلتها السكرتيرية المشتركة للمؤتمر فكانت عظيمة الفائدة حقا . ولا شك في ان مؤتمرنا قد احرز نجاحا عظيما ، لأن السلم والتعاون الدولي سيفيدان فائدة عظيمة مـــن التضامن والانسجام اللذين كشفت عنهما قراراته ، وان قضية السلم ستمتد الهاما عظيما مما ابدته جميع الدول الاسيوية والافريقية من اهتمام بالغ وتأييد تام فيما يتصل بمسألة حقوق الانسان وحق تقرير المصير .

ثم قال : « ان كثيرا من الفضل في نجاح المؤتمر يرجع الـــى الجهود الشخصية للسيد علي ساسترو اميد جوجو رئيس المؤتمر والى خبرته وطول اناته . كما ان روح جميع اعضاء الوفود التـــي اتسمت بطول الاناة والرغبة في التوفيق ساعدت في جعـــل مداولاتنا

بنهج نهجا انشائيا في الاوقات التي بدا فيها لا مندوحة عن وقـوع الخلاف » (٧) .

وهكذا برز جمال عبد الناصر في مؤتمر باندونغ ، من بين ثلاث شخصيات دولية انتزعت الاهتمام والاضواء ، وهي اضافة اليـه : نهرو وشوآنلاي (٨) .

واثـار هـدوء الرئيس العربي واعتداله جميـع المراقبـين الغربيين ، الذين انتظروا منه عنفا وتطرفا . « ومن المؤكد ان اعتدال عبد الناصر كان هـو الوسيلة الحكيمة الوحيدة لعرض القضية العربية عامة ، والقضية الفلسطينية خاصة ، على الشكل الذي يمكن ان يتقبله جميع زعماء المؤتمر دون ان يدفعهم العنف الى مجـرد رفض سماع الحجج التي كان لا بد للرئيس العربي ان يسوقها دعما لمطالبه » (٩) .

تبقى النتائج التى ولدتها مقررات مؤتمر باندونغ والتي تتعلق بالعالم العربى ومسائله الاساسية . فقد حسم هـذا المؤتمر مسألة تفاهم العرب مع المجموعة الاشتراكية . وكان من نتيجته « تبلور في اتفاقيات الاسلحة بين الاتحاد السوفياتي وسورية ومصر ، لمـا تبلور فـي تبـدل جـذري لمواقف الـدول الاشتراكية بالنسبة لاسرائيل » (١٠)

ولنترك باندونغ متوجهين الى القاهرة من اجل حضور « مؤتمر التضامن الافريقي الاسيوي » .



مؤتمر التضامن الافريقي الآسيوي

في (٢٦) كانون الاول ــ ديسمبر ــ (١٩٥٧) افتتح في القاهرة مؤتمر الشعوب الافريقية الاسيوية بحضور حوالي ٤٠٠ مندوب يمثلون اربعين بلدا تقريبا . وكانت هناك يافطة كتب عليها « ليسقط مبدأ ايزنهاور » حملها الطلاب وهم يحيون المؤتمرين . وقد انتخب في مستهل المؤتمر السيد انور السادات رئيس تحرير جريدة « الجمهورية » يومذاك رئيسا للمؤتمر .

وباعتبار ان مؤتمر القاهرة هو امتداد لمؤتمر باندونغ فقد ارسل الامين العام السابق لمؤتمر باندونغ بالبرقية التالية الى مؤتمر القاهرة : « ان شعوب آسيا وافريقيا تستطيع ان تكافح بكل قواها الى ان يستتب سلم وانسجام حقيقيان في العالم والى ان يزول آخر اثر من آثار الاستعمار » .

وقال رئيس المؤتمر في كلمة الافتتاح : « ان مصر تؤمن بالحياد وعدم الانحياز وان الدول الاسيوية والافريقية تشاطر وجهة النظر هذه ، وهكذا نستطيع ان نمنع شبح الحرب » . واضاف : « ان الدول الافريقية والاسيوية قد منحت مصر تأييدا كبيرا في الخريف الماضي حين هاجمتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل » . وقال : « ان الطريق الوحيد الذي تستطيع ان تسلكه

هو ان تصبح قوة لتحرير الشعوب الاخرى من نير الاستعمار . وقد كان الاسيويون والافريقيون مرة اخرى ضحايا الاستعمار . اما الان فقد اصبحوا احرارا ، وهم مستعدون لان يقوموا بدور حاسم في شؤون العالم » .

وبعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة الى المؤتمر قال فيها « ان المؤتمر عقد في سبيل الحرية وخير الشعوب واقامة السلام في جميع انحاء العالم . » ثم تمنى عبد الناصر للمؤتمر النجاح في تقوية هذه الاهداف التي تتطلع اليها شعوب آسيا وافريقيا .

وعندما دعي زعماء مختلف الوفود الى المنصة في الاجتماع الثاني الذي عقد بعد الظهر نال الممثلان الجزائري والسوفياتي اكبر قدر من التصفيق . واحتل الجزائري السيد محمد الدين دباغين مكانه في المنصة فيما كانت الجماهير تهتف : « الجزائر عربية ، عربية ، عاشت الجزائر حرة ، عاش كفاح الشعب الجزائري » . ومثل الاردن في المؤتمر الاردنيون المنفيون . وعندما قدم رئيس الوفد الاردني السيد شفيق رشيدات هتفت الجماهير : « عاش كفاح الشعب الاردني » . وكان هناك مندوب آخر عن الاردن هو السيد عبدالله ريماوي الوزير السابق الذي كان يواجه السجن خمس عشرة سنة بتهمة التآمر اذا عاد الى بلاده .

وعندما دعي الوفد الفلسطيني هتفت الجماهير : « لتسقط اسرائيل الدولة الاميركية . عاشت فلسطين » .

وكانت الجلسة الاولى للمؤتمر مخصصة لفضح الاستعمار الاميركي في الشرق الاوسط . وقد تولى السيد خالد محيي الدين رئيس تحرير جريدة « المساء » اليسارية تقديم تقرير عن الاستعمار يقول ان الولايات المتحدة قد فشلت في الجهود التي بذلتها للسيطرة

على الشرق الاوسط . واضاف هذا التقرير يقول،« ان مشروع ايزنهاور هو بمثابة تحالف عسكري سياسي يقدم مساعدة لا قيمة لها مقابل اخضاع الدول والمناطق للولايات المتحدة » .

وتكلم مندوب الجزائر ، وهو عضو في جبهة التحرير الوطنية، فبدأ يسرد الاعمال الوحشية التي ارتكبها الفرنسيون في بلاده منذ عام (١٨٣٠) . وقال « ان فرنسا تقوم اليوم بابادة الشعب الجزائري مستخدمة في ذلك احدث الاسلحة الاميركية » . واضاف : « ما أثيرت القضية الجزائرية مرة في المحافل الدولية الا وتكتلت الدول الغربيه والاوروبية ، ليس فقط لتأييد الاستعمار الفرنسي ، بل كذلك للدفاع عنه . والدورة الاخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة هو افضل مثل على ذلك » . وقد صفق المندوبون والحضور طويلا للمندوب الجزائري عندما وصف نفسه بأنه « ضحية الاستعمار الفرنسى في الجزائر » . وختم الوطني الجزائري كلمته بقوله : «انني اتحدث اليكم باللغة الفرنسية بعدما قطع المستعمرون العلاقات بين الجزائريين ولغتهم العربية الاصلية » .

وقام الوفد السوري بعد ذلك بتقديم تقرير اقتصادي عن الجهاز الاقتصادي في سورية . ومما يقوله هذا التقرير ان الشرق الاوسط بحاجة لاستثمار موارده الاساسية والى تطوير اقتصادياته بوجه عام .

وقدم الوفد السوداني بعد ذلك تقريرا عن التفريق العنصري . وقد دعا وزير خارجية السودان السيد محمد احمد محجوب ، الذي يشترك في المؤتمر ، بصفته ممثلا لحزبه السياسي وليس بصفته الرسمية ، الى وضع مشروع قرار يطالب بالتحريم الفوري لجميع القوانين التى تنص على التفريق العنصري . ودعا السيد محجوب كذلك الى منح الحق العالمي للتصوت لجميع افراد البشر دون تفريق أو استثناء . وانتقل السيد محجوب بعد ذلك الى التحدث عن

الولايات المتحدة متسائلا عن الدور الـــذي مثلته في خلق دولـة اسرائيل .. ثم قال ان الولايات المتحدة فشلت في الجهود التي بذلتها في سبيل السيطرة على الشرق الاوسط بعد المحاولات التي بذلها الفرنسيون والبريطانيون في هذا السبيل . وختم قائلا : « ان الاستعمار يحتضر الان تحت ضغط الحركات الوطنية » .

واقترحت مصر في المؤتمر انشاء ســـوق مشتركة افريقية اسيوية كوسيلة للوقوف بوجه السوق الاوروبية المشتركة . وقد قدمت هذه التوصية من جانب مندوب مصر السيد حسن زكي خلال اجتماع اللجنة الاقتصادية التابعة للمؤتمر الاسيوي الافريقي . وقال التقرير المصري ان انشاء سوق افريقية اسيوية مشتركة سيؤدي الى تشجيع التعاون بين الكتلة الافريقية الاسيوية ، والى مقاومة السوق الاوروبية المشتركة . ودعـــا التقرير الحكومات الافريقية والآسيوية الى اتخاذ الخطوات اللازمة مـــن اجل انشاء مثـــل هذه السوق المشتركة . ولكن مصر عادت وتراجعت عـــن طلبها في انشاء السوق المشتركة . وقد سبب مندوب مصر السيد علي عبد الرزاق دهشة شديدة حين اعلن في اجتماع اليوم التالي ان مصر لا توصي بمشروع السوق المشترك الافريقي الاسيوي ، ومما زاد في الدهشة هو ان الوفد المصري وزع على اعضاء المؤتمر دراسة هـــامة عـــن امكانيات السوق المشترك الافريقي الاسيوي . وقد برر السيد عبد الرزاق ذلك قائلا :

أ ـــ ان عدم الاعتراف بالصين الشعبية سيخلق عقبات هامة للسوق المشترك .

ب ـــ يخشى تدخـــــل البلدان الغربية في السوق المشترك الافريقي الاسيوي بواسطة الاراضي التي ما زالت هذه البلدان تحتفظ بها في افريقيا واسيا ، او عن طريق المعاهدات التـــي تربط بعض بلدان افريقيا وآسيا بالبلدان الغربية .

وقد اقترحت مصر بدل السوق المشترك الافريقي الاسيوي نظام تعاون اقتصادي وثيقا بين البلدان الافريقية والاسيوية .

والقى رئيس الوفد الليبي السيد عبد العزيز الزقلعي خطابا قال فيه : « ان غالبية شعوب اوروبا واميركا مشغولة بنوع آخر من المؤتمرات ، كمؤتمر باريس لحلف الاطلنطي ، ومشغولة بتنظيم الاستعدادات للحرب ، واتخاذ الوسائل لبسط النفوذ ، وفرض السيطرة ، واثارة الفتن بين الشعوب » .

وتحدث الزقلعي عن مشكلة ليبيا فقال : « ان استقلال ليبيا قد اعلن في (٢٤) كانون الاول ــ ديسمبر ــ عام (١٩٥١) في الوقت الذي وزعت فيه القواعد العسكرية لكل من بريطانيا واميركا وفرنسا في جميع انحاء البلاد » .

واختتم رئيس وفد ليبيا خطابه بقوله : « ان ليبيا تريد ان تتعاون معها شعوب آسيا وافريقيا في بناء صرحها الاقتصادي بناء سليما بامداد ليبيا بالقروض وهجرة رؤوس الاموال اليها . وقال : «ان الاهالي يعانون من الاضطهاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وقد ذهب ضحية للعذوان عليهم (٧٠٠) الف قتيل منهم (٢٠) الفا في عام (١٩٤٧) عندما قامت الثورة . وطالب المندوب الليبي بأن يؤيد المؤتمر اماني شعب مدغشقر في تحقيق استقلالها والعفو عن المنفيين سنة (١٩٤٧) في اعقاب الثورة واعادة محاكمة المتهمين في هذه الثورة .

وتكلم السيد محمد الحارثي مندوب امامة عمان فتحدث عن العدوان البريطاني على عمان وقال : « ان بلاده كانت مستقلة خلال (١٢) قرنا من الزمان ، ولكن البريطانيين اعتدوا عليها اكثر من مرة ، وعقدوا الصلح معها في (١٩٢٠) ثم عادوا وزحفوا عليها عام (١٩٥٥) . واختتم السيد الحارثي كلمته مطالبا المؤتمر بتأييد قضية عمان ومد يد المعونة للعمانيين .

وتحدث السيد منير الريس رئيس وفد فلسطين فقال : « لقد وقعت حروب كثيرة قبل نكبة فلسطين ولكن لـم تسفر واحدة منها عما خلفت المؤامرة على فلسطين . فبين جميع المآسي والمصائب والنكبات التي تصاحب الحروب وتشوه حياة البشر ، وتعوق تقدمهم ، وبين كل الدمار والحطام واليأس والظلام ، يبرز ما أصاب فلسطين كهول فريد من نوعه » .

وقال : « ان الشعب الفلسطيني ينشد نصرتكم وتأييدكم في تحرير بلاده ، وانقاذه من براثن الاستعمار ، ونيل حقوقه المشروعة كاملة ، وعودته الى بلاده » .

وفي (٢) كانون الثاني ـ يناير ـ (١٩٥٨) اختتم مؤتمر الشعوب الاسيوية الافريقية اعماله مؤكدا ارادة الشعوب في سلام دائم ورخاء يعم الانسانية جمعاء. وقد اقيم الحفل الختامي في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة . ودوت الهتافات باسم « التضامن الاوحد، باسم الحق والحرية ، باسم السلام والرخاء وبسقوط الاستعمار واستنكاره ، وسقوط المطامع والتفرقة ، وسقوط قـوى الشر والعدوان » .

ثم القى السيد انور السادات رئيس المؤتمر البيان النهائي واعلن ان المؤتمر وافق على انشاء هيئة دائمة بالقاهرة للعمل على تنفيذ قرارات المؤتمر وتوصياته .

والسؤال الان : ما هي قرارات وتوصيات المؤتمر التي تعود بالفائدة للوطن العربى ؟

بشأن الجزائر استنكر المؤتمر « الحرب التي تشنها القوات الاستعمارية الفرنسية والفظائع التي تقترفها ضد الشعب الجزائري الذي يكافح في سبيل استقلاله » .. واصر المؤتمر « على الاعتراف

باستقلال شعب الجزائر فورا ، وان نشرع حالا في مفاوضات على اساس هذا الاستقلال بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الجزائرية التي تمثل الشعب الجزائري » .. وطالب المؤتمر بالافراج « عن الزعماء الخمسة وجميع الجزائريين الموجودين في السجون والمعتقلات » .. واعلن المؤتمر « ان اليوم الاول من آذار ـ مارس ـ عام (١٩٥٨) هو يوم التضامن مع الجزائر في كل من افريقيا وآسيا وذلك عن طريق المظاهرات والاجتماعات وجمع التبرعات » .

وبخصوص المسألة الفلسطينية تبنى المؤتمر التقرير المرفق المقدم من وفد فلسطين عن هذه المسألة ويعتبر المؤتمر « دولة » اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الاوسط وسلامته ، ويدين سياستها العدوانية التي تكون خطرا على السلام العالمي ، ويؤكد المؤتمر حقوق العرب في فلسطين ، ويعلن عطفه على اللاجئين الفلسطينيين ، ويؤيد جميع حقوقهم وعودتهم الى وطنهم .

وايد المؤتمر طلب المغرب لاسترجاع جميع المناطق التي لا يزال الاستعمار يسيطر عليها ، تحقيقا لوحدة المغرب واستقلالها التام .

كما ايد المؤتمر كفاح الشعوب العربية في سبيل الوحدة والاستقلال والتحرر من النفوذ الاجنبي ؛ واستنكر بشدة محاولات التدخل الاجنبي التي تهدد السلم في الشرق الاوسط والعالم كله ، سواء كان ذلك التدخل مباشرا ، او عن طريق المعاهدات الثنائية غير المتكافئة المخلة بالسيادة القومية ، او عن طريق الاحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية ، او المعونات المعلقة على شروط ، او عن أي طريق آخر يتنافى مع حرية الشعوب وسيادتها .

واعتبر المؤتمر حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور تدخلا في شؤون البلاد العربية ، ماسا بسيادتها ومهددا لسلامتها .

اما بخصوص القرارات والتوصيات الاقتصادية ، فقد اوصى المؤتمر بالقضاء على عدم التكافؤ الموجود في التبادل التجاري بين الدول المتقدمة والاقطار المتخلفة .. واعلن المؤتمر ان التأميم وسيلة مشروعة لتدعيم الاقتصاد القومي .. كما اوصى المؤتمر بانشاء لجنة دائمة لجمع البيانات والمعلومات عن البلاد الاسيوية ـ الافريقية ونشرها .. ودعا المؤتمر الى عقد مؤتمر تخطيطي عام في المستقبل القريب للاسراع بالتقدم الاقتصادي والاجتماعي . وطالب حكومات البلاد الافريقية الاسيوية بالسعي الحثيث حتى يسترد اللاجئون الفلسطينيون العرب وطنهم ، ويستعيدوا اموالهم ، وان يحصلوا على تعويضات عن ثرواتهم المفقودة .

اما النتائج العملية التي نجمت عن مؤتمر القاهرة وقد استفاد منها الوطن العربي فهي :

اولا : الدعم العالمي الاسيوي الافريقي للمسألة الجزائرية الذي ساهم ، ولا شك ، في حصول الجزائريين على الاستقلال بعد فترة طويلة من الاستيطان الفرنسي .

ثانيا : المزيد من تفهم افريقيا وآسيا لعدالة المسالة الفلسطينية . ومن ثمار هذا التفهم قطع بعض الدول الافريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . وهذه نتيجة عظيمة نظرا لمدى التغلغل الاسرائيلي في القارة السوداء .

ثالثا : استفادة مصر بشكل خاص من اميركا وروسيا في آن معا ، خاصة بعد ان ترسخت حيادية الرئيس عبد الناصر في هذا المؤتمر اثر بروزها في مؤتمر باندونغ .

رابعا : ومما لا شك فيه ان التفاعل الاقتصادي بين الوطن العربي وبين سائر دول افريقيا وآسيا قد ازداد تشعبا وعمقا .

وهذا من شأنه ان يعود بالخير على الدول العربية التي كثفت من تفاعلها الاقتصادي ـ التجاري خاصة مع سائر البلدان التي اشتركت في المؤتمر وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي واليابان .

ان مؤتمر التضامن الافريقي الاسيوي هو ، بالنسبة للعرب ، أهم مؤتمر للعالم الثالث ، وذلك لسببين :

اولا : لان هذا المؤتمر كان مؤتمرا عربيا من حيث مكانه وهوية الذين حضروا له ودعوا اليه . وهو يعني ان اهمية العرب في العالم الثالث كبيرة جدا ، حتى يقام المؤتمر على ارض عربية ، وهو الثاني بعد مؤتمر باندونغ . ولعل الفضل في ذلك يعود ، في الدرجة الاولى الى جمال عبد الناصر ورصيده الكبير في افريقيا وآسيا .

ثانيا : لكون هذا المؤتمر قد طغى عليه الطابع الشعبي عكس الطابع الرسمي الذي اتسم به مؤتمر باندونغ . وهو ، بذلك ، يغدو المؤتمر الشعبي الاول للعالم الثالث . وهذا امر بالغ الاهمية نظرا لكون معظم قضايا العالم الثالث في تلك المرحلة كانت مطالب شعبية يناضل من اجلها الشعب ضد الاستعمار في الخارج وعملائه الحكام في الداخل .

هنا ، لا بأس من ان نعرج الى الجمعية العامة للامم المتحدة لحضور دورتها الخامسة عشرة ، قبل التوجه الى مؤتمر بلغراد .

إن الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للامم المتحدة التي افتتحت في (٢٠) ايلول ــ سبتمبر ــ (١٩٦٠) تستحق ان تدعى «دورة العالم الثالث » ، نظرا للدور الرئيسي الذي لعبه رؤساء الدول في اسيا وافريقيا في هذه الدورة . وبالنسبة للوطن العربي ، فيمكن القول انه كان ممثلا بصورة كافية في جلسات الدورة وذلك من خلال

اشتراك الرئيس جمال عبد الناصر وتطرقه في خطابه الى القضايا العربيه وعلى رأسها المسألة الفلسطينية .

ويمكن اخذ فكرة عن مدى الحضور العربي في الجمعية العمومية للامم المتحدة عبر استعراضنا لخطاب الرئيس عبد الناصر وصداه داخل الفاعة وخارجها .

دخل الرئيس عبد الناصر الى قاعة الجمعية العامة من الجانب الايسر .. وكان قد استقل المصعد من عند مدخل الامم المتحدة بعد ان رد تحية المئات من العرب والاسيويين والافريقيين الذين تجمعوا حول المدخل يحملون لافتات تحييه . واخذ الرئيس مكانه بين اعضاء الوفد العربي .. بينما كان نيكيتا خروشوف وجوزف بروز نيتو وجواهر لال نهرو واحمد سوكارنو وقوامي نكروما وماكميلان وجميع رؤساء الوفود قد حرصوا على ان يدخلوا الفاعة ويجلسوا في اماكنهم قبل ان يبدأ الرئيس خطابه المنتظر . وكان الرئيس العربى في هذه اللحظات يستمع باهتمام الى الجزء الباقى من خطاب جورجيو دييج رئيس وفد رومانيا ويتطلع الى بعض الاوراق امامه ويكتب بعض الملاحظات . وفي الساعة التانية عشرة من اليوم السادس للدورة ، اعلن بولاند رئيس الجمعية العامة عن خطاب عبد الناصر . وتوجه الرئيس بخطوات ثابتة الى المنصة بينما راح اعضاء الوفود يصفقون في حماس .

وصفق الاعضاء عندما قال الرئيس : « لست اريد ان استدر الدموع على حقوق شعب فلسطين ولكني اريد لهم حقوقهم كاملة » . وصفقوا عندما دعا ايزنهاور وخروشوف للاجتماع فورا .. وصفقوا عندما اقترح ان يجتمع الزعيمان تحت علم الامم المتحدة . وصفقوا عندما تحدث عن كفاءة العمل في قناة السويس وعندما تحدث عن الامة العربية ووحدتها .

وقد شوهد خروشوف اثناء حديث عبد الناصر ، يتبادل

التعليق مع غروميكو ، وهمرشولد يكتب ملاحظاته في مفكرة صغيرة .. ومندوب فرنسا الوحيد يغادر القاعة عندما بدأ عبد الناصر يتحدث عن الجزائر . اما غولدا مائير فقد راحت تتحرك بعصبية حين تحدث الرئيس المصري عن فلسطين والفلسطينيين .

وعندما انتهى الخطاب قوبل عبد الناصر بعاصفة من التصفيق، ووقف اعضاء الوفود وهم يصفقون له وراحت الوفود العربية والاسيوية والافريقية تغادر مقاعدها لتحيط به . ووقف خروشوف ونهرو وكاسترو ونكروما وتيتو وماكميلان ومندوب اميركا الدائم ، صفقوا باستثناء غولدا مائير التي لم تقف ولم تصفق .

والآن ماذا تضمن خطاب جمال عبدالناصر من آراء واقتراحات يهم الوطن العربي ؟

عن المعنى الحقيقي للسويس بالنسبة للحركات التحررية في آسيا وافريقيا اكد الرئيس عبد الناصر « انه قد مضى ذلك العهد الذي كانت القوى الاستعمارية تملك ان تحشد الجيوش فيه وتوجه الاساطيل الى ضرب حركات التحرر » . واضاف : « لقد أثبتت حرب السويس ان الحرية لها اسلحتها وان الحرية لها اصدقاؤها في كل مكان » . واذا كانت معركة السويس قد وضعت حدا للعدوان الاستعماري المباشر برأي الخطيب ، الا انها دفعت بالاستعمار كي « يبحث عن اداة اخرى لمطامعه » . واعطى الرئيس عبد الناصر مثلا على تردد الاستعمار في اقحام جيوشه بصورة سافرة كما حدث اثناء العدوان الثلاثي « ايام ثورة شعب العراق . فحين بدأ الشعب العربي المجيد يحرر بلاده من التبعية ومناطق النفوذ رأينا الاستعمار بسورة الغضب المشتعلة ، يحشد الجيوش ويحرك الاساطيل . فاذا ما جاءت الساعة الثانية بعد سورة الغضب الاولى، وجدنا الاستعمار يفيق للواقع ، فاذا هو لا يدري ماذا يفعل بالجيوش التي حشدها ولا بالاساطيل التي حركها » .

واتهم الرئيس المصري الامم المتحدة بنسيان ميثاقها ومسؤولياتها المتعلقة بحقوق شعب فلسطين « فهل أدى مر الايام والسنين الى حل للمشكلة ؟ هل نسي شعب فلسطين وطنه وارضه ودياره ؟ هل نسيت شعوب الامة العربية مأساة شعب فلسطين وتآمر الاستعمار الذي كان قائما بالانتداب عليه بتكليف من عصبة الامم ، فاذا بهذا الاستعمار يقطع الوعد لاخرين بوطن غيرهم ؟ » وتساءل بقوة : « منذ متى كانت اوطان الشعوب ملكا للمستعمر ينزعها بكلمة من اصحابها ويعطيها لغيرهم وفقا لمشيئته » ؟!

ويجيب بالقوة نفسها : « ولكن للاستعمار منطقه ، وكان منطق الاستعمار في جريمته من شعب فلسطين ان يقيم لنفسه وسط الوطن العربي قاعدة يهدد منها الشعوب العربية » .

ويشير الى الحل الوحيد بالنسبة لفلسطين وهو « ان تعود الامور سيرتها الاولى وان ترجع الى النقطة التي بدأ الخطأ عندها » .

ولكن ، كيف ؟ « لا بد ان تتحمل الامم المتحدة مسؤولياتها تجاه فلسطين وشعبها العربي . تلك ابسط حقوق ذلك الشعب الباسل الذي يواجه في القرن العشرين محنة لم يسمع بمثلها في أظلم عصور التاريخ » .

الى ان يقول « لست اريد هنا ان استدر دموعا على احوال اللاجئين من شعب فلسطين . وانما نريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا نريد له الدموع » .

ثم يخاطب عقول الغربيين الذين يعتبرون اسرائيل امرا واقعا لا يمكن العودة عنه فيقول : « ان التعلل بالامر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب في حق المبادىء . ولو قبلنا هذا التعليل لما جاز مطاردة السارق لنسترد منه ما سرق ، ولنقتص منه بحكم القانون الذي جرمه . ذلك ان سرقته تصبح بعد اتمامها امرا واقعا . انما الامر

الواقع على غير اساس من العدل وحكم القانون اعوجاج ينبغي على المجتمع تقويمه وتلافيه » .

وينتقل عبد الناصر الى مأساة الجزائر فيروي كيف جمع قادة المقاومة الجزائرية بالمسؤولين الفرنسيين في القاهرة حيث عرضت مطالب الجزائريين .. « ومن اسف ان الوفد الفرنسي وصل الى القاهرة فعلا والتقى بالوفد الجزائري ، ثم سافر الى فرنسا لاجراء مشاورات مع حكومته ، وظل الوفد الجزائري في انتظاره في القاهرة ، ولكن الوفد الفرنسي لم يعد حتى هذه اللحظة الى القاهرة » .

وقال الرئيس المصري لرؤساء العالم بلغة الجزم « ليس يخالجنا شك في ان الحرب الدائرة في الجزائر اليوم والتي قدم لها الشعب الجزائري ، طواعية ، ارواح مليون من ابنائه حتى الآن ، لا يمكن ان تنتهي بغير انتصار الحرية » .

اما الامم المتحدة ، فيتعين عليها بنظر الرئيس عبد الناصر « ان تقوم بواجبها . وما نظن اننا نغالي في الطلب اذا تقدمنا الان نطلب حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره على اساس استفتاء يتم تحت اشراف الامم المتحدة وفي رقابتها وحماها » .

ويربط جمال عبد الناصر بين مؤتمر باندونغ وبين تلك الدورة للامم المتحدة ، مكررا فعل ايمانه بعدم الانحياز .. ومما يقوله « ان مؤتمر باندونغ الذي اجتمعت اليه الشعوب الافريقية الاسيوية هو ذروة من ذرى كفاحنا الوطني في الدعوة الايجابية الى مبادئنا . كذلك فان هذه القاعة بالذات ، قاعة الجمعية العامة قد شهدت ذروة استعدادنا للدفاع عن هذه المبادىء ، وذلك حينما وقفت الامة العربية ترد العدوان المسلح على مصر في شهري اكتوبر ونوفمبر سنة (١٩٥٦) . ولقد كان مما شرف كفاحنا ورفع من قدره ان

المجتمع الدولي المتحضر ممثلا في هذه الجمعية العامة للامم المتحدة قد انتصر لدفاعنا عن مبادئنا ووقف ضد محاولة العدوان عليها . ذلك هو ايماننا بعدم الانحياز طريقا الى السلام . ايماننا به دعوة صادقة خالصة .. وايماننا به نضالا ايجابيا » .

ولأن الامم المتحدة قد اقرت مبادىء باندونغ « فليس يخالجنا شك ــ يقول الرئيس ــ في اننا لن ننتظر خمس سنوات اخرى كما انتظرنا من باندونغ الى الآن » . وختم خطابه مؤكدا انه « قد حان الوقت الذي يجب ان تنتقل فيه اماني الشعوب وحقوقها من عالم النظريات الى عالم الواقع » .

بعد الخطاب راحت الصحف الاجنبية تعلق على ما ورد فيه وتقيم بعض مقترحاته . فقال جيمس موريس مراسل الغارديان « ان خطاب ناصر يبدو مساهمة طيبة لتدعيم السلم والنية الحسنة، وان كان اثره لا يتعدى اثر « دبوس شعر » في شلال مياه » . اما « الديلي ووركر » فقد قالت ان مبادهتين نمنا في الامم المتحدة للعودة الى مفاوضات نزع السلاح ، الاولى مطالبة السيد ناصر باجتماع ايزنهاور وخروشوف ، والثانية مشروع قرار سوفياتي بزيادة عدد اعضاء لجنة نزع السلاح التى توقفت اعمالها في يونيو الماضي » .

والآن جاء دور مؤتمر بلغراد الذي يعتبر التوأم الثالث لمؤتمرات العالم الثالث بعد باندونغ والقاهرة .

مؤتمر بلغراد

افتتح في الساعة العاشرة من صباح الجمعة ١ ايلول ـ سبتمبر ـ (١٩٦١) مؤتمر اقطاب دول عدم الانحياز في العالم ، في قاعة الجمعية اليوغسلافية . وحضر المؤتمر ثلاثة ملوك هم : ملك اثيوبيا وملك المغرب وملك نيبال ، واثنا عشر رئيس دولة هم رؤساء : يوغوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة واندونيسيا وكمبوديا وتونس والسودان وغانا ومالي والجزائر والصومال وقبرص وكوبا . وخمسة من رؤساء الحكومات هم رؤساء وزراء : الهند وبورما وافغانستان وسيلان ولبنان . واربعة من المبعوثين الشخصيين لرؤساء الدول هم وزراء خارجية : المملكة العربية السعودية والعراق وغينيا وشقيق امام اليمن .

وكان خطاب احمد سوكارنو هو الاول بعد جلسة الافتتاح . وتبعه مباشرة الرئيس جمال عبد الناصر . ثم القى الرئيس السوداني ابراهيم عبود خطابه . وبعده خطب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة .

ومن الرؤساء الذين خطبوا في المؤتمر الملك الحسن ملك المغرب . وخطب من المسؤولين العرب في المؤتمر رئيس حكومة الجزائر يوسف بن خده ، ثم الممثل الشخصي لملك اليمن سيف الاسلام الحسن .

ولنبدأ من النهاية . فقد اعلن رئيس وفد اليمن في خطابه ان الاستعمار البريطاني « السيء السمعة » تسلل الى جزء من الاراضي اليمنية التي اطلق عليها المحميات الجنوبية ، كما اقتطع عدن واعتبرها مستعمرة قائمة بذاتها . وقال ان الاستعمار الفرنسي يريد اتباع نفس طريقة التقسيم في الجزائر كما فعل الاستعمار في فلسطين .

اما رئيس الوفد الجزائري يوسف بن خدة فقد اعلن انه سيعبىء كل الموارد الممكنة لاسترداد استقلال الجزائر « ولن نتخلى ابدا عن سيادة الجزائر على الصحراء » .

وقال ابن خدة ان حكومته مستعدة للدخول في مفاوضات مع فرنسا اذا ابدت استعدادا صادقا « لازالة الاستعمار الفرنسي من الجزائر » . ورفض بشدة مطالب فرنسا بالاحتفاظ بمناطق وقواعد عسكرية في الجزائر قائلا : « ان هذا يعني انشاء دولة فرنسية داخل دولة جزائرية » . واتهم فرنسا بأنها تسعى الى اغتصاب ثورة الصحراء الجزائرية والاحتفاظ بقاعدة لتجاربها الذرية ومنطقة للسيطرة في افريقيا . وقال ان حلف الاطلنطي يؤيد الحرب الاستعمارية في الجزائر .

واستطرد يقول : « ان الجزائر ستواصل بعد تحريرها من الاستعمار سياسة عدم الانحياز ، كما ستعزز علاقاتها مع جميع الشعوب التي ساعدتها في نضالها ضد الاستعمار الفرنسي » .

وقد استغرق خطاب بن خدة عشر دقائق فقط ، الا انه قوطع بالتصفيق والتهليل من قبل المؤتمرين باستثناء « كلود ارنو » القائم بالاعمال الفرنسي الذي انسحب من المؤتمر عندما بدأ الرئيس الجزائر كلمته . والجدير ان الجلسات العلنية التي تلقى فيها كلمات رؤساء الوفود ، يسمح لرؤساء البعثات الدبلوماسية حضورها من شرفة كبار الزوار .

وفي الكلمة التي الفاها الحسن ملك المغرب قال ان بلاده هي احدى ضحايا التجارب الذرية، واضاف تعليقا على تفجير السوفيات للفنبلة الذرية قبيل انعقاد المؤتمر « لفد اقلقنا استئناف التجارب الذرية السوفيايية في الوقت الذي يبحث فيه مؤتمرنا وجميع دول العالم عن طريقة لوقف التجارب الذرية كخطوة أولى لنزع السلاح». وختم خطابه قائلا : « ما دام يخيم على العالم الفقر والبؤس والجوع بالاضافه الى خطر الحروب ، فان المرارات التى نوافق عليها هنا لا يمكن ان تكون كافية » .

وطالب الرئيس ابراهيم عبود رئيس السودان في خطابه الذي ألقاه في مؤتمر بلغراد بتحييد افريفيا بالنسبة للاسلحة النووية ، وعدم جرها الى سباق التسلح وازالة جميع الفواعد الاجنبية منها . وقال ان افريقيا يمكن ان تصبح مثالا للعالم كله كمنطفة محايدة . وقال ان مصادر تسليح افريفيا كانت دائما تلك الدول الاستعمارية نفسها « التي تصر على البقاء في قارتنا » . واقنرح الرئيس عبود تشكيل لجنة دولية خاصة تستوثق من تطبيق حق تقرير المصير بأمانة ، ودعا جميع الدول غير المنحازة الى توقيع العقوبات السياسية والاقتصادية على جميع الدول الاستعمارية . وقال ان فرنسا تتحدى الامم المتحدة بالنسبة لمسألة الجزائر وتريد ان تسطو على الصحراء الجزائرية وتنتزعها من شعب الجزائر المناضل . وهاجم فرنسا بسبب سياستها في تونس ، وانتقد تجاربها الذرية في صحراء الجزائر . وانتفد حكومه جنوبى افريقيا ، وقال ان نصف مليون من البيض يتحكمون في ١٣ مليون افريقى بقوة السلاح ، واضاف ان الوحشية اصبحت هي « قانون الاستعمار في افريقيا » والامثلة كثيرة في انغولا وروديسيا وكينيا واوغندا وشبه الجزيرة العربية .

وختم الرئيس السوداني خطابه قائلا : « ان اسرائيل خراج سرطاني في العالم العربي » . واضاف : انها لا تلقى بالا بالمرة لقرارات

الامم المتحدة وتثبت كل يوم بسلوكها انها العن صورة من صور الاستعمار .

اما الرئيس التونسي بورقيبة فقد اعلن في خطابه ان تونس ستتقدم الى المؤتمر بمقترحات لعقد مؤتمرات دورية من رؤساء الدول غير المنحازة . واضاف ان تونس ستقترح ايضا ان يعقد وزراء هذه الدول اجتماعات لبحث الشؤون الخارجية والاقتصادية وشؤون الثقافة والاعلام . وقال الرئيس بورقيبة انه ينبغي الا يصبح مؤتمر الدول غير المنحازة ناديا تحتفظ دوله بمفتاح بابه ، وانما يجب ان يبقى المؤتمر مفتوحا ليقبل في عضويته كل دولة حرة.

يبقى الرئيس عبد الناصر الذي اعتبر مع نهرو وتيتو « المحركات » الرئيسية التي تدفع المؤتمر كله الى الحركة . ووسط موجة التصفيق التى استقبلته من الباب الخارجي حيث فرش السجاد الاحمر القى الرئيس المصري خطابه التاريخي في المؤتمر . ووضع امام المؤتمر ست مشكلات عالمية . واقترح الحلول التي تصلح مفاتيح لهذه المشكلات . وكانت اولويات المشاكل التي تواجه العالم كما اعلنها الرئيس :

١ ـ التوتر الدولي الذي تعكسه الحرب الباردة كنتيجة لعدم الايمان الكافي بضرورة التعايش السلمي .

٢ ـ زيادة التسلح بدلا من نزع السلاح ومهما كان من دوافع روسيا الى اتخاذ قرار استئناف التجارب النووية فهو دلالة على التدهور الخطير في الموقف الدولي .

٣ ـ محاولة بعض القوى استغلال الموقف لصالحها .

٤ ـ الاحلاف العسكرية التي اصبحت موجهة الى الجبهات الداخلية للشعوب التي تريد تحقيق آمالها ، والمعونات التي تستغل

للسيطرة ، وتفسيم اوطان الشعوب ، واقامة قواعد العدوان فيها كما هو الحال في اسرائيل .

٥ ــ التمييز العنصري الـــذي يمارس نشـــاطه في حمــى الاستعمار .

٦ ــ زيادة احتمالات الخطر بالعلم الحديث .. اذا ما استخدم الفضاء مثلا لاقامة قواعد عسكرية انسياقا مع حمى التسلح القائمة الآن .

اما الحلول التي يراها مفاتيح للمشاكل فهي :

اولا : ان يتم اجتماع للاقطاب في اسرع وقت لانه لا خيار الان بين امرين « المفاوضات او الحرب » . يتحتم علينا ان تكون لدينا خطة واضحه لدفع المفاوضات بين الكتلتين .

ثانيا : ان يبدل كل الجهود لتمكين الامم المتحدة مــن اداء رسالتها .

ثالثا : من المحتم الآن اتاحة اكبر فرصة للتقدم امام الشعوب التي لم تستكمل نموها الاقتصادي والاجتماعي .

رابعا : من المؤكد ان تواصل الدول غير المنحازة ــ وقد تصدت لمسؤولية العمل من اجل السلام ــ ما بدأته .

خامسا : تصفية الاستعمار بما يمكن ان نوجهه اليــه مــن ضربات ساحقة .

سادسا : ينبغي ، ونحن نتحرك نحو اهدافنا ان نحرك معنا كل القوى المستعدة للخير .

ولقد بدأ عبد الناصر خطابه بعرض للموقف العالمي كله منذ لقاء ايلول ــ سبتمبر ــ عام (١٩٦٠) في الجمعية العامة للامم المتحدة حتى اجتماعه بالرئيس تيتو في القاهرة في نيسان ــ ابريل ــ (١٩٦١) .. ثم عاد وقارن بين الموقف في نيسان وما هو عليه الآن .

ومن ثم اعلن الرئيس المصري ان هناك في يقينه خمسة اسباب تحتم نجاح المؤتمر :

١ ـ لا توجد قوة قادرة على خدمة السلام مثل مجموعة الدول التي تتبع سياسة عدم الانحياز .

٢ ـ ان هذه الدول اقدر على الحركة الطليقة النزيهة المتجردة .

٣ ـ انها تتحمل مسؤولية خاصة تجاه السلام .

٤ ـ انها في جو السلام تستطيع ان تساعد شعوبا غيرها كثيرة ما زالت ترسف في الاغلال ... « او باختصار علينا ان نكون قوة الضمير في عالمنا الذي نعيش فيه » .

٥ ـ انها في جو السلام وحده تستطيع ان تطور الحياة في بلادها .

وقال عبد الناصر : « ان من بواعث الامل الاول في نجاح المؤتمر هو انه اجتمع بالفعل .. وان كان هذا في حد ذاته مسؤولية كبرى » .

واضاف ان تصوره لعمل هذا المؤتمر : « ان هناك طريقة يمكن بها ان نقترب من عملنا ، وهناك اعتبارات يجب علينا ان نبتعد بعملنا عنها » . ولخص هذه الاعتبارات في اربع نقاط :

- ان المؤتمر ليس كتلة ثالثة .
- ان المجتمعين ليسوا امما متحدة داخل الامم المتحدة .
- ان المبادىء يجب ان تكون هي « اطار حركتنا وهي الضوء الكاشف الذي نوجهه بحثا عن الحقيقة » .

□ اننا يجب ان نكرس كل الجهود من اجل مشاكل السلام الكبرى .

واشار الرئيس المصري في خطابه الى الطريقة التي يجب ان تعالج بها الامور فقال انه ينبغي « ان نرد الامور الى اصولها .. ولا ننظر اليها من حيث نجدها الآن » .

وكانت نهاية خطاب الرئيس امنية بأن ينتهي الاجتماع والشعوب تشعر انه خطوة في الطريق الصحيح صادقة .. امينة .. نزيهة . بينما كانت بداية الخطاب تعبيرا عما يشعر به من شرف وسعادة لوجوده في المؤتمر الشرف: لان التقاء هذا العدد من الرؤساء وقادة الشعوب ليس حدثا عاديا في التاريخ .. والسعادة : لانه ليس من السهل ان تتاح للانسان فرصة يعيش فيها احلامه حقيقة واقعة .

واختتم مؤتمر بلغراد اعماله وقد اصدر عدة قرارات في ٥ ايلول بعضها يعني مباشرة قضايا الوطن العربي . فالقرار رقم (٣) ينص على الآتي : « تعتبر الدول المشتركة كفاح شعب الجزائر كفاحا عادلا وضروريا من اجل الحرية وتقرير المصير والاستقلال وكذلك من اجل وحدة اراضيه القومية بما في ذلك الصحراء . ولهذا فهي مصممة على ان تقدم لشعب الجزائر كل ما يمكن من تأييد ومعونة وان رؤساء الدول والحكومات ليسعدهم بصفة خاصة ان يمثل الجزائر في هذا المؤتمر حكومة الجزائر المؤقتة والممثل الشرعي لها » .

اما القرار رقم (٦) فانه يتضمن « مطالبة البلاد المشتركة بجلاء القوات المسلحة الفرنسية عن جميع الاراضي التونسية فورا نظرا لحق تونس المشروع في ممارسة سيادتها الوطنية كاملة » .

« ويندد المشتركون في القرار رقم (١٠) « بالسياسة الاستعمارية التي تنتهك في الشرق الاوسط ويعلنون تأييدهم لاعادة جميع حقوق الشعب العربي في فلسطين كاملة طبقا لميثاق الامم المتحدة وقراراتها » .

اما بقية القرارات ، فانها تعني الوطن العربي وسائر دول العالم الثالث على حد سواء .

ولنستعرض بسرعة بعض ما تبقى من مؤتمرات العالم الثالث بادئين بمؤتمر اكرا الاول .

مؤتمر اكرا الأول

على اصداء « افريقيا للافريقيين » التي يرددها راديو القاهرة في اذاعته باللغات الافريقية ، اجتمعت ثماني دول افريقية في مؤتمر اكرا الاول الذي عقد في عاصمة غانا من (١٥) الى (٢٢) نيسان — ابريل — (١٩٥٨) . ومن اصل الدول الثماني كانت خمس منها عربية وهي : ليبيا ،المغرب ، السودان ، تونس ، والجمهورية العربية المتحدة . بل ان عدد الدول العربية ، عمليا ، كان سبعا باعتبار ان الجمهورية العربية المتحدة كانت تشمل سورية وتمثل اليمن الذي كان على علاقة كونفيدرالية معها .

كانت غاية المؤتمر الافريقي تحقيق « تعارف افضل وتبادل الافكار حول المواضيع ذات الفائدة المشتركة ، وتثبيت دعائم استقلال الدول الافريقية والمحافظة عليه ، وتقوية الصلات الاقتصادية والثقافية ، وايجاد الطرق لمساعدة من هم لا يزالون يرزحون تحت السيطرة الاستعمارية ، ومناقشة قضايا السلام ، وحث الدول الكبرى على نزع السلاح » وهذا ما تضمنه نص الدعوة الى المؤتمر .

وجرى المؤتمر تحت شعار « يوم الاستقلال الافريقي » ورئسه

الدكتور قوامي نكروما رئيس دولة غانا ، في حين تغيب عنه الرئيس عبد الناصر والرئيس بورقيبة . وقال نكروما في كلمته انه « من الان فصاعدا فان النيل ليس وحده معنا وانما معنا ايضا انهار الحبشة وغانا وليبيريا وليبيا والمغرب والسودان وتونس ، ولن يستطيع احد ان يسيطر على افريفيا بعد الآن » .

وركز رؤساء الوفود العربية في خطاباتهم على القضايا التي تهم الوطن العربي اضافة الى قضايا القارة السوداء . فتحدث الدكتور محمود فوزي عن « استشهاد الجزائر » ثم اثار موضوع المسألة الفلسطينية . كذلك فعل وزراء خارجية ليبيا والسودان وتونس والمغرب ،مطالبين بعون اقتصادي غير مشروط . ومما جعل قضية الجزائر في رأس لائحة القضايا التي اثارها الخطباء فى المؤتمر ان ممثلين لجبهة التحرير الجزائرية كانوا موجودين في المؤتمر .

وصدرت مقررات المؤتمر حيث نالت الجزائر حصة الاسد منها ، في حين جاء النص المتعلق بالمسألة الفلسطينية خجولا بسبب وجود علاقة متينة بين اسرائيل وثلاث من الدول الافريقية المشتركة في المؤتمر . ونصح المؤتمر في مقرراته ان تحل الخلافات بين مصر والسودان حول الحدود عن طريق المفاوضات . وبالنسبة للجزائر ، فقد اتفق المؤتمرون على النقاط التي طرحها الدكتور فوزي وهي :

١ ــ الاعتراف بحق الجزائر بالاستقلال .

٢ ــ الاعتراف بجبهة التحرير كمتحدث وحيد باسم الجزائر .

٣ ــ اعلان قبول الاجراءات التي اقرتها الجمعيه العامة للامم المتحدة في دورتها الاخيرة .

٤ ــ واتفق على ان يذهب ممثلو الدول الثماني الى العواصم الكبرى للدفاع عن القضية الجزائرية .

وكان مسك الختام ما قاله الدكتور نكروما من « ان الدول الامبريالية القديمة كانت تحب ان تتحدث عن افريقيا عربية ، وافريقيا سوداء ، عن افريقيا مسلمة واخرى غير مسلمة .. ان هذه التقسيمات تقسيمات مصطنعة ، واليوم فان الصحراء اصبحت الجسر الذي يجمع بينها جميعا .

هذا عن مؤتمر اكرا الاول ، ولكن ماذا عن مؤتمر اكرا الثاني ؟

مؤتمر اكرا الثاني

كان مؤتمر اكرا الاول رسميا باستثناء ممثلي الثورة الجزائرية . اما المؤتمر الثاني في عاصمة غانا فقد اتخذ طابعا شعبيا اذ انه ضم مائتي عضو ينتمون الى خمسين حزبا سياسيا ونقابة وحركة طلابية .

واختير توم مبويا رئيس وفد كينيا ليرئس المؤتمر الذي انعقد من (٦) الى (١٣) كانون الاول ـ ديسمبر (١٩٥٨) . وحضر المؤتمر وفد سوفياتي في طليعته الدكتور عظيموف رئيس جامعة تركمان والاستاذ بوتيكلين الاخصائي الكبير بالقضايا الافريقية . وفي المقابل حضر المؤتمر ايضا وفد اميركي كان في طليعته السيد ايرفينج براون الذي استطاع ان يلعب دورا هاما في المؤتمر . كما حضر اعضاء وفد السكرتارية الدائمة الافرو ـ آسيوية في القاهرة . اما جبهة التحرير الجزائرية فقد مثلها في المؤتمر المناضل بو منجل .

وكما في المؤتمر الاول ، فقد كانت القضية الجزائرية هي محور اهتمام المؤتمرين . فبالرغم من تصميم المؤتمرين على اتخاذ مبدأ اللاعنف الفاندي شعارا لهم ، فقد اقروا مع ذلك بأن « اعمال الدول الاستعمارية ، وخاصة في الجزائر ، تفرض بطبيعة الحال الوسائل اللازم اللجوء اليها. » . لذلك تضمن القرار الاول للمؤتمر طلبا من الدول المستقلة ان تجعل مهمتها العمل على الاسراع

في تحرر البلدان التي لا تزال تحت نير الاستعمار ، على ان يشمل تأييدها « البلدان التـــي تكـــافح بوسائل لاعنفية والبلدان التـــي اضطرت الى اللجوء الى العنف » .

اما القرارات الاخرى التي اصدرها المؤتمرون فهي :

- قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول التي تمارس التمييز العنصري .
- انشاء مجموعات اقليمية للدول المستقلة مستندة الى ارادة الشعوب الحرة تعبر عنها باستفتاءات عامة .
- الدعوة الى الكفاح ضد الانظمة القبلية والتمييز الدينـــي وضد جميع المؤسسات ذات الصبغة الرجعية .

وعهد المؤتمر الى سكرتارية عامة ، مركزها اكرا ، بأن تعمل على الاسراع بتحرير افريقيا وتنمية الشعور بالتضامن الافريقي .

موتمر القاهرة الاقتصادي

- التعاون بين دول افريقيا وآسيا على اساس نظام تفضيل.
- ننظيم التبادل على اساس ازالة كل منافسة ضارة .
- انشاء جهاز لدراسة المشاكل الاقتصادية الخاصة بآسيا وافريقيا .
- تطوير الاتفاقيات التجارية والمالية .

تلك اهم النقاط التي كانت محور المناقشات للمؤتمر الاقتصادي لدول العالم الثالث الذي عقد في القاهرة بين (١٨) و (١١) كانون الاول ـ ديسمبر (١٩٥٨) .

كان هذا المؤتمر خطوة متقدمة من قبل عبد الناصر في سبيل تعزيز شأن الكتلة الثالثة في العالم على الصعيد الاقتصادي بعد تعزيزها على صعيد السياسة في مؤتمر باندونغ وبلغراد والقاهرة .

وقد حضر مؤتمر القاهرة الاقتصادي (١٩٤) منظمة اقتصادية تابعة لـ (١٠١) دولة منها المستقلة ومنها المحمية ومنها الامارات .

وقدمت الجمهورية العربية المتحدة مشروع قرار يوصي بايجاد

منظمة افرو ــ اسيوية للتعاون الاقتصادي تحدد اسسها من قبل لجنة مؤلفة من (١١) عضوا .

ولوحظ ان الوجود السوفياتي في المؤتمر كان كثيفا ، غير ان معظم المؤتمرين ، باستثناء الشيوعيين ، كانوا سلبيين ازاء المقترحات السوفياتية .

وبصرف النظر عن القرارات التي تمخض عنها المؤتمر ، فان النتائج الاقتصادية كانت هزيلة جدا اذا ما قيست بالانجازات السياسية التي احرزها مؤتمر القاهرة هذا ، والمؤتمرات التي سبقته في باندونغ والقاهرة وبلغراد .

موتمر كولومبو

واخيرا نصل في جولتنا السريعة الى مؤتمر كولومبو الذي يعتبر ، عربيا على الاقل ، من اهم مؤتمرات دول العالم الثالث على الاطلاق ، نظرا لمستوى وكثافة الوفودالعربية فيه .. ولأنه عقد في ظل الحرب الاهلية اللبنانية وما نجم عنها من « حروب » عربية .

عقد مؤتمر كولومبو في آب ـ اغسطس (١٩٧٦) . وقد مهد له باجتماع لوزراء خارجية الدول من اجل تفادي أي تناقض جوهري يمكن ان يحصل اثناء انعقاد المؤتمر ، خاصة على صعيد الوفود العربية . ففي (١١ آب ـ اغسطس ١٩٧٦) عقد وزراء خارجية دول عدم الانحياز اول اجتماع لهم في كولومبو بسيريلانكا . وللحال برزت الخلافات العربية خلال هذا الاجتماع التمهيدي . لذلك سارع وزراء الخارجية العرب الى عقد اجتماعات جانبية خاصة من اجل دخول المؤتمر بحد ادنى من وحدة الصف . وهكذا ، توصلت المجموعة العربية الى « الاعراب عن قلقها ازاءالموقف في لبنان » مع تأكيد ضرورة الحفاظ على وحدة الاراضي اللبنانية وسلامتها وتشجيع ايجاد حل للمشكلة بين اللبنانيين انفسهم . ولقد توصل المؤتمرون العرب الى هذا الاتفاق المتواضع بعد مشاورات عنيفة بين ممثلي سورية والعراق وفلسطين .

وهكذا دخلت الـدول العربية مؤتمـر كولومبو فيما « ظلت الانقسامات قائمة دونما اي حل سواء بالنسبة لازمة لبنان او مشكلة الصحراء الغربية » .

وتضيف وكالة الصحافة الفرنسية ، « لقد دل تحليل الموقف في لبنان على اتساع هوة الخلافات القائمة بـين سورية مـن جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية والعراق من جهة اخرى . لذلك اقترح العراق لو تستمر الاجتماعات العربية قائمة على هامش اجتماعات المؤتمر وبهدف ازالة الخلافات بين العرب .. الا ان مندوب ليبيا رفض الاقتراح قائلا : ان وفد بلاده لـم يأت الـى كولومبو للاجتماع مع الوفود العربية بصفة دائمة .

وفي (١٦) آب ــ اغسطس (١٩٧٦) بدأ مؤتمر كولومبو لدول عدم الانحياز اجتماعاته . وكـان ابرز رؤساء الوفود العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبيـة والرئيس الجزائري هواري بومدين والرئيس المصري انور السادات ورئيس جمهورية اليمـن الديموقراطية سالم ربيـع علـي والمقدم ابراهيم الحمدي رئيس مجلس الثورة في جمهورية اليمن الشمالية، والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفـة حـاكم البحرين ، والرئيس اليوغوسلافي جوزف بروز تيتو ، والسيد فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، والرئيس السوري الفريق حافظ الاسد . اما ابرز الغائبين عن المؤتمر فهم : الرئيس الكوبي فيدل كاسترو ، والرئيس الكوري كيم ايل سونغ ، والرئيس الاوغندي عيدي امين ، والرئيس السوداني جعفر نميري .

وقبيل انعقاد المؤتمر ، شن الاتحاد السوفياتي عدة حمـلات

عنمه على مفهوم الحياد الذي تلزم بـه الدول غير المنحازة ، مع مطالبتها هذه الدول بالتحالف مع الاتحاد السوفياتي والدول التي تدور في فلكه .

ومن جهة اخرى ، بعث هواكبو فينغ رئيس الوزراء الصيني برسالة تهنئة الى الدول المشاركة في مؤتمر كولومبو أكد فيها « ان الصين كالعديد من الدول غير المنحازة تنتمي الى العالم الثالث » وان الحكومة والشعب الصيني يؤيدان في حزم البلدان غير المنحازة في متابعة سياسة الاستقلال والسلام والحياد ، كذلك فى معركتها ضد الامبرياليه والاستعمار والعنصريه والصهيونيه وهيمنه الدول الكبرى » .

الا ان الامين العام للحـزب الشيوعـي السوفياتى ليونيد بريجنيف قد ابرق الى المؤتمر متمنيا عليـه ان يؤكد « تصميم المشتركين في الحركة على النضال في حزم ضد الامبرياليه والحرب والعدوان والاستعمار والاستعمار الجديد » . وقال بريجنيف فى برقيته : « ان اعداء الوفاق الدولي يزيدون من اشتعال مراكز الخطر العسكـري ويحاولون اثارة الـدول الواحدة ضد الاخرى ويستمرون في المضى قدما في سباق التسلح » .

وكانت كلمة الافتتاح للسيدة سيريمافو باندرانايكه رئيسه وزراء سيريلانكا ، فحيت فى كلمتها انضمام شعوب انغولا والرأس الاخضر وجزر برنسيب وسيشيل الى حركة عدم الانحياز ، وكذلك قبول منظمة التحرير الفلسطينية وكوريا الديمقراطية ومالديف فيها . واصغى الزعماء الذين يمثلون اكثر من نصف سكان العالم في اهتمام ، الى السيدة باندرانايكه وهى تقول « ان الوفاق والامن الدولى ليسا مفهومين يمكن ان يكون لهما معنى واحد بالنسبة الى الدول القوية وهما من دون معنى ابدا عند سائر الانسانية » .

واتهم الرئيس الجزائري في كلمته القصيرة الدول الامبريالية بمحاولة اثارة العرب ضد العرب والافريقيين ضد الافريقيين لنسف حركة التحرير . وقال ان «اكثر الفصول أسى في هذه الاستراتيجية التفكيكية يجري الان في لبنان المعرضة وحدته الوطنية ووحدة اراضيه جديا للخطر ، والذي بات شعبه الى جانب مئات الالوف من الفلسطينيين المطرودين من وطنهم ضحايا سياسة لا يمكن وصفها الا بسياسة ابادة » .

واضاف بومدين : ان الاحداث في لبنان تؤكد الحاجة الملحة الى ايجاد سوية شاملة في الشرق الاوسط تتضمن الجلاء عن كل الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بأن لب المشكلة هو ضرورة تحقيق الاماني الوطنية للشعب الفلسطيني » .

واعترف الدكتور كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة بأنه « لم يعد حقيفيا ان الدول الكبرى وحدها لها التأثير المصيري في العلاقات الدولية . اننا نرى أكثر فأكثر ان الدول الاخرى ، خصوصا اذا كانت متحدة ، نستطيع اخذ المبادرة » . وعن الطريق المسدود الذي وصلت اليه المفاوضات لايجاد تسوية للنزاع العربي — الاسرائيلي قال فالدهايم انه « في انتظار متابعة المفاوضات ، فان قوات الامم المتحدة المكلفة المحافظة على السلام في الشرق الاوسط تتابع مهمتها في استمرار الهدوء في مناطق المواجهة ، وهي تشكل اطار استقرار ضروريا جدا لتطور المفاوضات » .

وتحدث الرئيس المصري انور السادات فقال ان اسرائيل في حاجة الى درس آخر لكي تدرك ان دول عدم الانحياز لن تسمح بأن يضرب عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة . ودعا دول عدم

الانحياز الى مساعدة لبنان على التصدي للعدوان الخارجي وحماية استقلاله الذي ينتهك منذ سنة .

وفي اليوم الثاني للمؤتمر ، القى الرئيس اليوغوسلافي تيتو خطابا طويلا حذر فيه الدول من « الاستغلال الذي يمكن ان يحدث من جراء الخلافات القائمة في ما بينها » بعد ان دعاها الى « حل مشاكلها الثنائية خارج مؤتمر كولومبو » .

وعن مفهومه لفكرة عدم الانحياز نفى ان تكون عقيدة « ولا يجب السماح بوصف دولة معينة بأنها غير منحازة استنادا الى هذا او ذاك من الانظمة السياسيه » .

اما الرئيس السوري حافظ الاسد فقال « ان القوى المناوئة للامة العربية ، والتى تقاوم احلال السلام العادل في الشرق الاوسط ، عملت على خلق مشكلة جديدة في المنطقه بتفجير احداث لبنان لتضعف الاهتمام بالقضية الفلسطينية وتعيق حلا عادلا باعتبار ان القضية الفلسطينيه هي جوهر ازمة الشرق الاوسط ، وان بقاءها من دون حل يعني استمرار هذه الازمة واستمرار الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية » . واضاف انه « منذ بدء احداث لبنان اخذنا على عاتقنا ، بدافع الروابط الاخوية والقومية والعلاقة الخاصة بين سورية ولبنان وبدافع الشعور بالمسؤوليه واستجابة لنداءات مختلف اطراف النزاع في لبنان ، ان نبذل كل جهد في سبيل وقف القتال ودفع الاطراف الى ايجاد قواسم مشتركة عن طريق الحوار » . واكد الرئيس السوري بأن الجهود والاجراءات التى اتخذتها سورية « استطاعت ان تحقق الامن والطمأنينه لمناطق واسعة في لبنان » . وامل الاسد « في ان يعمل الجميع متعاونين للخروج من الازمه وقهر المؤامرة الكبرى التي تحاك ضد لبنان وضد القضية الفلسطينية والامة العربية » .

وتقدم وفد منظمة التحرير الفلسطينية بمشروع قرار الى المؤتمر اعرب فيه عن قلقه للاوضاع المتفجرة في لبنان ، وادان المحاولات الفاشية والمخططات الامبريالية التي تستهدف الوجود الفلسطيني والثورة الفلسطينية ، طالبا بالحاح وقف اطلاق النار فورا في لبنان حقنا للدماء .

يوم (١٨) آب ـ اغسطس ، كان مؤتمر كولومبو على موعد مع ثلاثين خطيبا من بينهم ، بل ابرزهم العقيد معمر القذافي .

أكد الزعيم العربي في خطابه التاريخي ان النزاع في لبنان مسألة داخلية ، وان الامر يتعلق بلبنانيين يتقاتلون . وقال ان ليبيا تبذل جهدها في محاولة لحصر النزاع ووقف اراقة الدماء .. وانها بمساعدة سورية والجزائر وجميع الاطراف اللبنانية الاخرى ، تحاول حصر النزاع وجعله محليا .. وان جهود هذه الاطراف لا تزال مستمرة .

وردا على اتهام ليبيا بقيادتها «للارهاب الدولي» قال القذافي بأنه « اذا كان نضال شعب زيمبابوي ونضال الشعب الفلسطيني يعدان نوعا من الارهاب ، فاننا نساعد ، اذن ، هذا الارهاب ونقبل هذا الوصف » .

واتهم القائد الليبي ايران بتهديد اليمن الديمقراطية وبغزو الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية .

ولم يتردد العقيد القذافي في ابلاغ المؤتمر « ان هناك دجالين بين رؤساء الوفود الذين يحضرون المؤتمر » ، وان هناك « بعض البلدان في حركة عدم الانحياز يمكن تسميتها حصان طروادة » . من هنا كانت مطالبة الخطيب بحفظ « كشف حساب من مؤتمر قمة الى المؤتمر الذي يليه لتحديد البلدان التي لا تتبع مبادىء عدم الانحياز وتلك التي تتدخل في شؤون البلدان الاخرى » .

وقال الرئيس الليبي « ان التهديدات ضد بعض بلدان عدم الانحياز من بلدان اخرى داخل الحركة تشكل تهديدا أكثر خطورة من تهديدات الدول الامبريالية » . ولم يسم القذافي تلـك البلدان ولكنه وعد بتسميتها في المؤتمر المقبل .

وحمل القذافي على الولايات المتحدة الاميركية لاستخدامها حق النقض (الفيتو) ضد انضمام انغولا الى عضوية الامم المتحده ، ودعا الى الغاء نظام (الفيتو) في مجلس الامن .

وعلى الرغم من العلاقات الجيدة بين ليبيا وفرنسا ، فان الزعيم الليبي قد حمل على فرنسا بسبب وجودها العسكري فـي جزيرة مايوت من جزر القمر ، لانه « لا يحق لفرنسا ان تضم الى ارضها في اوروبا جزءا من افريقيا » . ولم يأبه الرئيس الليبي للعلاقات الجيدة بين فرنسا وليبيا « لأن الجمهورية العربية الليبية لا يمكنها ان تتخلى عن اهتمامها الخاص ببلدان العالم الثالث والدول الصغيرة » .

وهكذا اعتبر العقيد معمر القذافي نجم مؤتمر كولومبو نظرا لموضوعية وصراحة خطابه التاريخي . فقد قالت وكالة الصحـافة الفرنسية « انه في وسط جو رتيب من ثلاثين كلمة القيت في المؤتمر ، احتل العقيد القذافي مكان الصدارة بلا منازع عندما اعلن بصوت راعد ، وباللغة العربية ، ادانته للدول التي تمثل « احصنة طروادة » الاستعمار داخل حركة دول عدم الانحياز » .

واضافت الوكالة : « وكما هي العادة ، استحوذ الرئيس الليبي ، الذي ارتدى عباءة بيضاء وغطاء رأس اسود ووضع علـى عينيه نظارة سوداء ، على انتباه الحاضرين . وما ان صعد الـى المنبر حتى امتلأت مقاعد القاعة الكبرى ، بينما تدافع الصحافيون امام اجهزة التلفزيون الموجودة في المركز » .

ومما قالته الوكالةالفرنسية انه « برغم ان الموضوعات التى تناولها الرئيس القذافي في كلمته لم تخرج عن النقاط التي جاءت في كلمات رؤساء الوفود الآخرين الا ان اللهجة التي تحدث بها كانت قاطعة والعبارات سلسة قوية » .

وفي اليوم الاخير القى فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية خطابا في المؤتمر ، حث فيه المؤتمرين على اتخاذ خطوات لطرد اسرائيل من الامم المتحدة . وكشف القدومي ان المؤتمر شكل لجنة لمتابعة تنفيذ قراراته الخاصة بفلسطين وقضايا الشرق الاوسط . وقال : « اننا نرحب بحرارة بهذه الخطوة » . كما قال ان اسرائيل والولايات المتحدة « تتآمران في لبنان على الشعب اللبناني والمقاومة الفلسطينية » .. وناشد المؤتمر ادانة هذا التآمر .

واختتم مؤتمر كولومبو اعماله في (١٩٧٦/٨/٢٠) متخذا عدة مقررات وتوصيات تكاد لا تتميز بخطوطها العريضة عن تلك التي اتخذتها المؤتمرات السابقة .

وبالنسبة لمسائل وقضايا الوطن العربي ، فقد اعرب مؤتمر القمة الخامس لدول عدم الانحياز عن « قلقه العميق لتدهور الموقف في لبنان واستمرار النزف . ودعا كل الاطراف الى وضع حد للقتال الدائر فيه واعادة السلام والوحدة الى كل الربوع اللبنانية والمحافظة على استقلال لبنان » .

كما اعرب المؤتمر عن « تأييده الكامل والفعال للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاستعادة حقوقه الوطنية في فلسطين، بما في ذلك حقه في العودة الى دياره ، واستعادة ممتلكاته ، وحقه في تقرير مصيره بنفسه ، واقامة كيانه المستقل كتعبير عن ارادته وتأكيد لهويته الوطنية » .

ودعا المؤتمر الى « زيادة التنسيق بين دول عدم الانحياز ومنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، حتى يمارس شعب فلسطين حقوقه الوطنية مع اعتبار قضية فلسطين واحدة من القضايا الرئيسية لدول عدم الانحياز » .

الا ان المؤتمرين العرب حرجوا من المؤتمر مثلما دخلوه : مختلفين على مسألتين اساسيتين : المسألة اللبنانيه في المشرق العربي .. ومسألة الصحراء الغربية في المغرب العربي . وهذا يعني ان العرب كمجموعة في مؤتمر كولومبو ، لم تلعب دورا رئيسيا كما كان شأنها في مؤتمرات باندونغ والقاهرة وبلغراد ، بصرف النظر عن الدور الافرادي الذي لعبه هذا الزعيم العربي او ذاك .

وهكذا ، يتبين ، مما سبق ، وهو جزء مما قام به بعض قادة الوطن العربى القوميين والتقدميين، ان الوطن العربي كان من اواسط الخمسينات حتى اوائل الستينات ، محورا رئيسيا من محاور العالم الثالث . فقد لعب قادته ، وبالاخص جمال عبد الناصر ، دورا قياديا بل وتأسيسيا ، في مؤتمرات العالم الثالث . ولذلك ، فان قضاياه ، كانت مدار اهتمام جميع مندوبي آسيا وافريقيا منذ مؤتمر باندونغ .

الا ان مؤامرات الامبريالية والصهيونية بالتعاون مع الرجعية العربية قد افلحت في تفكيك اواصر العالم الثالث والقضاء على قياديه وطي صفحة معظم قضاياه . وعلى صعيد العالم العربي، فقد تمكنت المؤامرة الامبريالية ــ الصهيونية ــ الرجعية من توجيه ضربة قاصمة له من خلال محنة الخامس من حزيران ــ يونيو (١٩٦٧) .

ولكن هل يجوز ان يبقى العالم الثالث مفككاومغلوبا على أمره ؟

وبالتالي هل ينبغي ان ينتظر الوطن العربي قيام العالم الثالث حتى يأخذ دوره فيه ؟

ام ان باستطاعة هدا الوطن العربي ان يقوم في كل لحظه بدور ريادي مزدوج :

١ ــ ان ينهض بقوة داخل اطار دنيا العرب على الصعيدين الوحدوي والاجتماعي ــ الاقتصادي .

٢ ــ ان يقوم ، مرة اخرى ، بلعب دوره في بعث وحده العالم الثالث وقوته من اجل تحقيق اهدافه .

ويتم ذلك اذا توفرت عناصر رئيسية ثلاثة :

اولا : القيادات التاريخية .

ثانيا : القضايا القومية .

ثالثا : الاداة الفعالة .

الاداة الفعالة هي البترول العربي .
واما القضايا القوميه فكثيرة حيث ما زالت القضيه الفلسطينيه في رأس قائمتها .

بقي القيادة التاريخية .. فهل يأخذ قائد عربي المبادرة فيوظف سلاح البترول وغيره من الاسلحة من اجل نصرة القضية الفلسطينية وسائر قضايا العالم العربي والعالم الثالث ؟

كل ذلك في الواقع يتطلب دراسه متأنية شاملة لجميع قضايا العالم الثالث باعتبارها قضايا المستقبل ، ليس بالنسبة لشعوبها فحسب ، ولكن بالنسبة لمستقبل الانسانية ذاتها . ولعل خطورة الدور العربي تتأتى بالدرجة الاولى عن كون العرب ينتمون تاريخيا للعالم الثالث ، وفي الوقت ذاته فان ثرواتهم الطبيعية وموقع اوطانهم

الاستراتيجي كصلة وصل بين القارات الكبرى الثلاث ، يفرضان عليهم مهمات انمائية مزدوجة ، بتناول تطوير الشعوب الصغيرة ومساندتها في نضالها ضد التخلف والعوز ، في الوقت الذي يعمل فيه العرب على تطوير انفسهم ، والاستفادة من ثروابهم وطاقاتهم البشرية والاجتماعية ، ومركزهم الاقتصادي والسياسي متعاظم الاهمية بين الكتل المتصارعة على المسرح الدولي .

لذلك فان فريق الدراسات الاستراتيجية في المعهد ، الـذي اكتفى ، في هذا التقرير ، باثارة بعض النقاط الرئيسية حول حصيلة التجربة الحافلة التى خاضها نمو العالم الثالث منذ ربع قرن ونيف، سوف يتابـــع دراسة وتحليل مختلف المشكلات المصيرية المتعلقة بمسيرة الشعوب الجديدة الناهضة، دون ان ينسى اللحمة الوشيجة التي تصل العرب بهذه المسيرة لجميع هذه الشعوب التى ينتظرها مستقبل العالم الآتي .



المراجع

باندونغ

١ – ريمون آرون : (السلم والحرب بين الامم) باريس ١٩٦٢ .

R. Aron ; Pait et geurre entre les Nations; Paris, 1962 .

٢ – و. م. بال : (القومية والشيوعية في شرق آسيا) ملبورن ، ١٩٥٢ .

W. M. Ball : Makiavilism and Communism in East Asia, Melbaurne, 1952 .

٣ – فرح الله : (الجماعه الافرو – آسيوية في اطار الامم المتحدة) جنيف ١٩٦٣ .

٤ – ر. فريت : مليار ونصف من البشر ، باريس ١٩٥٥ .

R. Wright, Bandoeng, 1500000000 d'hommes, Paris, 1955.

٥ – ج. بوميه : (طريق باندونغ) باريس ١٩٥٦ .

J. Baumier, La route de Bandaeng.

الاستعمار الجديد

1 — J. Arnault, Procés du Colonialisme, Paris, 1953.

2 — J. Austruy , Le scandale du développement, Paris, 1965.

3 — P. Baron , Economie politique de lo croissance, Paris, 1967.

4 — P. Jallée , L'imperialisme en 1970 , Paris, 1969.

5 — M. Rudloff , Economie politique du tieres monde., Paris, 1968.
O. Sunkel. « integration capitaliste transnationale et désintégration nationale, In. politique étrangére, He 6, 1970.

6 — J. Berque et J. P. Charuay, De l'ımpérialisme à la décolonisation. Paris, 1966.

مميزات العالم الثالث

1 — A. Abdelmalek. La dialectique sociale, Paris, 1972.

2 — S. Amin : L'accunmlation à l'échelle mondiale, Paris, 1970.

3 — P. Bairok : Le tiers monde dans l'impasse, Paris, 1971.

4 — G. Balaudier Sens et puissance, Paris, 1971.

5 — J. Berque : Dépossession du monde , Paris, 1964.

6 — J. Barque et J. P. Charnay : De l'impérialisme à la décolonisation, Paris, 1965.

7 — P. Emmanuel : L'échange inégal, Paris, 1969.

8 — F. Fanon : Les donnés de la terre, Paris, 1961.

9 — A. Frank : Capitalisme et saus - développement en Amérique latine, Paris, 1968.

10 — K. Nkrumah : Le cousciencisme, Philosophie ei idécologie pansr la décolonisation et le développement.

11 — A. P. Lentin : La lutte tricontinentale, Paris, 1966.

دور فكرة القومية في يقظة العالم الثالث

1 — H. Baurg : L'Algérie à l'épreuve du pouvair, Paris, 1967.

2 — F. Fanon : Les donnés de la terre, Paris, 1961.

3 — A. Memmi : L'homme dominé, Paris, 1968.

4 — P. Jallée : Le pillage du tiers monde, Paris, 1965.

5 — K. Bytelheim : La planifications et le développement accéléré, Paris, 1964 .

المحتويات



شركة تكنو برس الحديثة ش.م.ل

بيروت - لبنان

٤ ليرات لبنانية أو ٤٠٠ درهم ليبي أو ما يعادلها